أنعم الكون والرحلات

محمد عزام

الطبعة الأولى

2021م- 1442هـ

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع

حقوق حلمك

عنـــوان الكتاب: أنعم الكون والرحلات

اســـم المـؤلف: محمد عزام

رقـم الإيـــداع: 15448 / 2021

الترقيـم الدولي: 9 - 178 - 998 - 977 – 978

التدقيـق اللغوي: د. هبة ماردين **تـصـميـم الغلاف: نعمة أنور كريم**

التنسيق الداخلي: محمد وجـيـه **رقـــم الطـبـعـة: الطبعة الأولـى**

المديـــــر العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر - بورسعيد

جوال: 00201211132879

البريد الإلكتروني: mohamedhamdy217217@gmail.com

حقـوق الطبـع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجـوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي، أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه، أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.

أنعم الكون والرحلات

محمد عزام

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أبي الذي مازالت أنفاسه لم ترحل عني ولن ترحل

أمي وطني الأول وشريان حياتي وقاموسي الذي وهبني ولم يبخل

أنتم روح كلماتي وما أُبدع وأخُط وسر نجاحي

وأخيراً زوجتي التي تحملتني ومازالت

مؤلف أنعم الكون والرحلات عقد من الفل والياسمين أثق في وصوله

إليكم همزة في حروف حياتي تصل وتنعش أرواحكم وثقتي أنكم الآن

تحومون حولي تشاركوني فرحتي ونجاحي

الطائر الحافي

****

تقديم

(كلمة الأستاذ الدكتور محمد زكريا عناني)
رئيس هيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالإسكندرية

صاحب هذا العمل أديب كاتب له حضوره العملي في الحياة الثقافية بالإسكندرية
وقد قرأنا له مؤخراً رواية بالغة العذوبة (الأنفوشي)
اليوم فإنه يطالعنا بهذا الحديث الشجي عن أنعم الكون
أنعم الكون موضوع جليل ضخم لا تكفيه المجلدات ذات الآلاف من الصفحات فكيف كتاب بهذا الحجم؟
هنا تكمن موهبة تسليط الضوء على الركائز الأساسية في مسيرة البشرية، وما أنعم به المولى عز وجل على عباده فقد استطاع الأستاذ محمد عزام أن يؤدي مهمته في الحيز المتاح له بمنتهي الوعي والإيمان والذكاء
هي رحلة مع الخير والنور والعطاء، كتبها قلم ذو خبرة وقلب يفيض بالتقوى والإيمان وعقل تدبر وطالع ورتب واعتصر النحل الرحيق فكان هذا الشهد المصفي الذي كتبه محمد عزام تحت عنوان أنعم الكون والرحلات.

مقدمة

صلتي بالدين تبدأ منذ الأزل وذلك من بداية خلق الله عز وجل سيدنا آدم عليه السلام، ورؤيته لذريته ومن ضمنها العبد الفقير إلى الله تعالى وقد نما الحب الفطري لهذا الدين في قلبي منذ ولادتي ووضع فمي في صدر أمي لدرجة أنه حدد معالم على هذا الكون

وأول كون كان حجر أمي وحنانها ورعايتها، وبدأ النمو الجسدي والفكري مكتسباً الإعجاب والحب للكون الصغير (أمي) ثم الكون الواسع من حولي واضعاً خطوات قلبي على علامات الإيمان والتوغل فيه ولكن برفق كما نصحنا نبي الرحمة المهداة محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم.

وهكذا بدأت الكتابة في (أنعم الكون) في القرآن والسنة وكانت بوابة كلماتي وبدايتها بنظرة إلى الحياة والكون ومدى إبداع الخالق جل وعلا لهذا الكون وتسخيره لجميع ما فيه لخدمة بني آدم ومنحه هذه الإرادة التي وهبها الله للإنسان ليعمل ويبدع لا ليلغيها أو يغلها ثم وضع مشاهد المجتمع الذي كان يعيش في حياة منتظمة منضبطة، وهذا ما وضحته بطبقات المجتمع القبلي ومدى النظام والرقي الذي كان فيه هذا المجتمع سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وعسكرياً ومدى توفره للحياة الكريمة لأفراده على هذا الكون وخاصة المجتمع العربي ونضجه وتملكه الحياة والتعايش مع أدق المسائل، ثم ربطت هذا النضج بمدى تقديرهم لهذا الدين

الجديد (الإسلام) ودخولهم فيه، بل والدفاع عنه إلى آخر نقطة دم في حياتهم ثم سردت عدالة الإسلام بداية من البناء الإسلامي وأركانه، وقد ركزت على الزكاة من حيث أنها من أهم الدعامات للعيش ومدى تأثيرها بين أبناء المجتمع وذكر العذاب الأليم للمقصر فيها، ثم ذكرت أقسام الناس الثلاثة في مراتب الزكاة، ثم كان البناء الثاني في التصور الشامل للحياة، وعمل التوازن الحقيقي في حياة البشر، وذلك ملازمته للشروط من طعام وطيب ورزق من حلال وعدم التطرف في القلة أو الزيادة في الطعام، ثم جاء موضوع (السعي والانتشار) وما حدده الخالق سبحانه وتعالى في سبيل العيش ووضع السعي في مرتبة الجهاد وتحري طرق الرزق الحلال وعدم التعدي والظلم في السعي للرزق وكذلك عدم اتباع سبل (الاحتكار ومدى تأثير زيف دراهم المعاملات وبقاء ذنبها على من زيفها حتى تفنى، وما يأتي من خراب وبوار الأموال والثروات للناس ثم يأتي ١٤ التوكل وهي الصفة الملازمة للمؤمن، وضرب مثل الطير من السنة المطهرة، ثم يأتي توظيف النقود تحت ظل الشريعة وبقاء المعاملات بنقود العصور الوسطى بين مختلف الشعوب ولفظ الدينار واعتماد الإسلام هذه النقود والتعامل بها، ثم تأتي الآفات السماوية ومدى تأثيرها على مستوى الطعام قبل الإسلام وفي أرض الإسلام من (تواتر مشاهد المجاعات) وبعدها (أحوال الناس في المجاعات) ثم كانت محطة الاستراحة في (مصائب قوم عند قوم فوائد) من إلقاء الضوء على شرائح من الناس قد استفادت وربحت من المحن والغلاء

الذي وقع بين الناس وبعدها كان ذكر (أسباب المحن)، وذكر أنّ كل ما يصيب الناس راجعاً إلى أسباب سماوية وأسباب بأيدي الناس أنفسهم، وكان نتاجَ اختلال الحياة في التركيبة الاجتماعية في المجتمع، مثال ذلك: ما حصل من قصور النيل وقلة المياه وغلاء الأطيان

ثم تأتي (لعبة النقود) ومدى تأثيرها على إفساد المعاملات وسيطرتها على مواقف المعاملات بين الطبقات في المجتمع، وهي سبع طبقات وأعقبها (نظرات وعبر) بين كثرة النقود ومعادلتها للذهب والفضة من دينار ودرهم وتوضيح بعدم وجود تفاوت كبير بين النقود (الفلوس) والدينار والدرهم إلا في أشياء معدودة ترجع إلى سببين:

أولها: فساد من أسند إليه الأمر وجهله بسياسة الأمور

والثاني: النوازل التي أصابت الأشياء حتى قلت كما حصل في لحوم الأبقار والسكر، ومشاركة أكثر فئات المجتمع في الاستغلال والبعد عن الإسراع في اتخاذ التدابير الحياتية كحل لرفع هذه النوازل، ثم تأتي (مشاهد من الحكم الربانية في الكون) وحكمة الله عز وجل في الذهب والفضة وعجز الناس على خلق مثلهم وسعة الأرض واتساع الكون للخلائق وجريان المياه والمطر وحكمته في نزوله من علو وإنزاله بقدر الحاجة، ثم تأتي (الحكم الربانية في السنة من الأطعمة) وفوائد كثيرة من الثمار والزروع والمأكولات، ثم جاءت (نصائح وحكم) من أقوال طبيب العرب (الحارث بن كلده)، ثم الإمام (الشافعي)، وكذلك الفيلسوف (أفلاطون)، ثم تكون الخاتمة بأن

الفساد في جميع مناحي الحياة في الكون وأحوال أهله جاءت بعد خلق الله عز وجل، أسباب اقتضت حدوثه وما زالت أعمال بني آدم ومخالفتهم للرسل تحدث الفساد العام والخاص، وأن الإسلام جاء لمعالجة مشاكل المجتمع والناس على اختلاف الألوان والأجناس وعلى مستوى رعاية المقامات والأحوال، وما أشبه اليوم بالبارحة في النوازل والمجاعات التي مازال العالم في سباق معها، كما يحدث في جنوب القارة الأفريقية بل وإعلان إفلاس بعض الدول وانهيار اقتصادها كما حل ببلاد كثيرة، وانحطاط مستوى النقود بها حتى أصبحت هذه النقود تعد بالملايين لشراء محقرات السلع، مثل قطعة الصابون وغيره من الأشياء التي لا تذكر داخل تلك المجتمعات، ثم يأتي المشهد الأخير بما يحتويه المجتمع المصري في الألفية الثالثة من مظاهر نقص الغلال وقلة ما يكفي من الخبز لسد حاجات الناس وتزايد النمو السكاني بهذه السرعة أمام ما يتم في معالجة هذه المشاكل من محاولات والإصرار على القضاء على كل ما يحدث من هزات مؤثرة في حياة الناس

وأخيراً فإن (أنعم الكون) هذا ما هو إلا نظرة من ضمن نظرات كل ذي فكر بما أصاب الكون وأدى إلى خراب مصدرمن أهم مصادر الاستخلاف ألا وهو الطعام لجميع خلق الله على هذا الكون.

****

الحياة والكون

إن الله سبحانه وتعالى هو الذي أبدع الكون وما فيه وأبدع قوانينه وطاقاته وأبدع الإنسان وزوده باستعداده للعمل في هذا الكون العريض، والله وحده يعلم حقائق الكينونة البشرية وكافة الحقائق الطبيعية الكونية، فهو وحده القادر على أن يضع للإنسان نظام حياة شاملة لحياته الفردية والجماعية ولحياته في الكون المحيط به وفي الوقت ذاته لا يلغي العقل البشري هذه الإرادة التي وهبها الله للإنسان ليعمل بها ويبدع لا ليلغيها أو يغلها فإنه فقط يحوطها بالسياج الواقي من الهوى ومن التهور وكذلك من النكسة أو الانحدار ووضع المنهج الذي يقويها فلا تميل ويهديها فلا تضل وحتى يظل الإنسان هو سيد المادة بضمانة من المنهج الذي أبدعه له مبدع الإنسان والمادة بل لكي يشعر بكرامته على الله وفي الوقت ذاته يشعره بأنه مستخلف في هذا الملك العريض ويأتي مصدر الاستخلاف الأول في قوله عز وجل:

(قل لا أجد فيما أوحى إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً) *الأنعام *

ثم تأتي السنك لتكمل المصدر الأساسي في معيشة هذا الاستخلاف وإبعاده عن أي مشوبة تهز وتنزل من قدر هذا الاستخلاف في أهم شيء في حياته وهو الطعام بتحريم النبي صلى الله عليه وسلم (كل ذي ناب من السباع

وكل ذي مخلب من الطير)[1] لينحي جانباً ويبعده عن حياته وقد كان المجتمع الجاهلي في عمومه مجتمع (قبلي) انقسم فيه إلى وحدات اجتماعية متعددة تعرف كل واحدة باسم القبيلة وكونت هذه القبيلة جوهر الحياة الاجتماعية والسياسية وكان يحدد إقامتها وجود الضروري من الماء والكلأ مما أثرت على استقرار الحياة على أجنحة الأرض وركوب البحر، وذلك أن من الطبيعة التي أوجدها الخالق عزوجل بدأ الشعوب يمارسون الأعمال من زراعة، شأن عرب يثرب واليمن واليمامة وزاولت قريش في مكة التجارة وركب البحر قبائل كالآزد في عمان، كما أقبلت بعض قبائل اليمن على صناعة السيوف والدروع ودبغ الجلود وحياكة الملابس[2] وكان نتيجة هذه الأعمال ظهور تركيبة اجتماعية تسمى بالطبقات أولها :

(طبقة الأبناء الصرحاء) "[3]" وهم الذين ترتبط بينهم القربى والانتماء إلى أب مشترك وتتمتع هذه الطبقة بميزات وحقوق لا تقدر لأحد سواها وأبرزها احقيتهم في إعطاء المواطنة أو الجنسية لغير أفرادها وكذلك حق الإجارة حتى ولو كان المجير على غير ما هم عليه من ديانة كما يحق لهذه الطبقة حرية الانتقال مناطق أخرى وإبرام عقود محالفتها

[1] رواه الستة وقال البزار بإسناد حسن

[2] العصبية القبلية د إحسان النص ،ص55 دار اليقظة العربية

[3] العقد الفريد (أحمد بن محمد بن عبد ربه الاستقامة بمصر ط"2" 1952

(طبقة الموالي)

وهم الطبقة التي تلي الطبقة الأولى في التكوين وتليها في الحقوق والمكان والموالي جمع مولى، وهي من الألفاظ التي يتسع مدلولها اللغوي لأكثر من معنى من المعاني المتضادة فهي في القاموس تعني المالك والعبد والمعتق والصاحب وابن العم والغريب والجار والحليف والنزيل والشريك والرب "[1]"

(طبقة الأرقاء)

وهي أقل الطبقات مكانة ومعيشة وتتكون من عنصرين: عنصر عربي وهم الأسرى العرب الذين لم يفتدوا، وعنصر أجنبي وهم العبيد الذين يجلبون من بلاد تشتهر بهذه التجارة "[2]"

ونظام الرق ليس بدعاً في بلاد الشرق فقد عرفته معظم الأمم في العصور القديمة وكانوا يزاولون من المهن مما يأنف له طبقة الموالي وطبقة أبناء الصرحاء خاصة

وهذه الطبقات الثلاثة بمكوناتها الاجتماعية تعيش وفق مجموعة من الأعراف والتقاليد تكون في مجموعها السياسية الداخلية، فكان لابد من وجود دستور ينظم حياتها ويحدد طبيعة العلاقات وكان مؤسساً في العصبية ومعناها:

[1] تاج العروس 398/10 محمد عبد الرازق المطبعة الخيرية عام 1306الهجري

[2] الشعراء الصعاليك د يوسف خليف ص105 ط2 دار المعارف

(النصرة على ذي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة "[1]" وهذا الدستور ممثل للوحدة الوطنية أو الوحدة الداخلية والتي تعتبر من أهم عوامل القوة والاستمرار في مجتمع تحكمه شريعة البقاء للأقوى مجمل الدستور جعل من المجموع مسؤولاً عن أمان الأفراد وحافظاً لمصالحهم وحاملاً لجريرتهم وجناياتهم أو كما قال المثل العربي: * في الجريرة تشترك العشيرة * "[2]" ومن هنا كانت عقلية الفرد باستحالة الحياة الكريمة خارج نطاق هذا الدستور بل حولته إلى درجة ذوبان الشخصية الفردية داخل الشخصية الجماعية وكان هذا من أهم شروط ضمان استقرارهم والطمأنينة في الحصول على الأمن الجماعي وتوفير أسباب العيش والعدل لهم جميعاً وقد عبر الشاعر الأفوه الأودي "[3]":

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم

ولا سراة إذا جُهالهم سادوا

تبقى الأمور بأهل الرأي ما صلحت

فإن تولت فبالأشرار تنقادوا

إذا تولى سراة القوم أمرهم

نما على ذاك أمر القوم فازدادوا

[1] مقدمة ابن خلدون ص28 عبد الرحمن بن محمد المطبعة الشرقية 1327 هـ

[2] مجمع الأمثال للميداني ج2ص17بولاق 1284هـ

[3] آمالي المرتضى 222/2/ ط 54/3

ولقد أقر هذا الدستور بعض الحقوق المادية والمعنوية لسيد الأبناء الصرحاء فيحق له بموجب هذا الدستور أن يحظى بنسبة معينة مما يكسبه مجتمعه من غنائم فله ربع الغنيمة كما يحق له أن يصطفي لنفسه جزءاً من الغنيمة قبل اقتسامها وله أيضاً ما يكسبه القوم قبل الغارة وهذه المزايا والتي تسمى بينهم بالحقوق يتمتع بها سيد الأبناء الصرحاء وقد لخصها عبد الله ابن غنمة في معرض رثائه لبسطام بن قيس "[1]"

لك المرباع منها والصفايا وحكمك ولنشيطة والفضول

وهو المسؤول عن حفظ التوازن داخل المجتمع وعمل كل ما في شأنه حفظ الوحدة الداخلية متعاوناً مع طبقة الصرحاء وهذا يعطب صبغة العدالة في نظام حكمه لمجتمعه وكان هذا حال العرب مع طبقة الصرحاء في كل معتقداتهم ممارسة فعلية (ومن أراد أن يعرف قوانينهم وأفكارهم فليترجم سلوكهم وممارستهم اليومية لأفكارهم ومبادئهم) من هنا فقد اتسمت أحكام بعض الدارسين للمجتمع الجاهلي بشيء من التطرف والقسوة لأنهم لم يراعوا في كثير من الأحوال والأصول هذه الحقيقة الأساسية بالنسبة لهذا المجتمع "[2]"

[1] الأصمعيات ط2/ص2/37 ينظر في فجر الإسلام أحمد أمين ط1ص17والعرب في حضارتهم وثقافتهم عمر فروخ دار العلم للملايين بيروت ص6/1966م

[2] الأصمعيات ط2/ص2/37 ينظر في فجر الإسلام أحمد أمين ط1ص17والعرب في حضارتهم وثقافتهم عمر فروخ دار العلم للملايين بيروت ص6/1966م

فلقد عرف العرب في مجتمعاتهم بهذا الشكل الدستوري ضرباً من المعارف جلبتها طبيعة العصر وضرورات الحياة الجاهلية وحاجاتها وإمكانياتها

وهذا شأن من رقي طورهم الحضاري عن الأمم الأخرى ولأن وجدت في هذه الفترة عن حياة العرب محدودة ومتواضعة بحكم تخلف المرحلة الحضارية التي كانوا يمرون بها فإن ذلك لا يعني بالضرورة تخلفهم العقلي وإلا لما كانت لهم الاستجابة الرائعة للدين الإسلامي فيما نزل عليهم فأذهلهم قرآنه الكريم وانفعلوا انفعالاً عميقاً بشكله ومضمونه على السواء مما أدى إلى انتشاره بينهم بهذه السرعة المذهلة لأن تتابع الحضارات العريقة التي قامت في بلاد العرب كالمعنيين والسبئية والعادية والثمودية الخ وإن زال سلطانها وانطمست معالمها الشكلية فقد ظلت تأثيراتها باقية في وجدان العرب. وما هذه المثل العليا والمبادئ الإنسانية والسجايا الحميدة التي عشقوها وفاخروا بها إلا نتيجة طبيعية لإحساس فطري بأنهم يقفون على أرض صلبة من تراث سالف عريق "لم يزل حياً في نفوسهم وضمائرهم قائماً في خيالهم وتصورهم مبثوثة معالمه حيث كانوا ويجوسون خلال ديارهم "[1]"

وقد ظهر جلياً في التقاء القرآن الكريم وهو أصدق المصادر التي تعطي صورة حقيقية للمستوى الثقافي والفكري لعرب الجاهلية فهو يصورهم في عقلية قومية ناضجة تملك القدرة على الجدل والحوار في أدق المسائل وما

[1] مصادر الشعر الجاهلي / ناصر الدين الأسد دار المعارف ط 1969م

يشتمل عليه من تصور شامل للحياة والكون وما بعد الحياة من بعث وحشر ومن ثم مطالبتهم باستيعابه والإيمان به والعمل على نشره بين شتى الأمم وفي شتى بقاع الأرض

* عدالة الإسلام *

بدأ البناء الإسلامي بحديث النبي صلى الله عليه وسلم:

بني الإسلام على خمس شهادة لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا

وعليه جعل الله تعالى الزكاة إحدى مباني الإسلام وأردف بذكرها الصلاة التي هي أعلى الإعلام قال الله تعالى:" وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة " النور**56**،ثم شدد على المقصرين فيها فقال " والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم " التوبة **34**

قال الأحنف بن قيس: كنت في نفر من قريش فمر أبو ذر فقال: بشر الكانزين بكيٍّ في ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكيّ في أقفائهم يخرج من جباههم

ولهذا التشديد صار من مهمات الدين الكشف عن معية الزكاة الظاهرة والباطنة؛ فالأموال محبوبة عند الخلائق لأنها آلة تمتعهم بالدنيا وهب من أهم أسباب الأنس بهذا العالم وإزاحة صورة الموت وعدم التفكر فيه مع أن

فيه لقاء المحبوب لذلك قال تعالى: "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة" التوبة 111

وذلك بالجهاد والمسامحة بالمهجة شوقاً إلى لقاء الله عز وجل والمسامحة بالمال أهون فانقسم الناس إلى ثلاثة أقسام:

قسم نزلوا عن جميع أموالهم فلم يدخروا دينارًا ولا درهماً كما جاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميع أمواله

وقسم دون هؤلاء الممسكون أموالهم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم في الادخار الإنفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل عن الحاجة إلى وجوه البر وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكاة آخذين في الاعتبار أنه يجب على الموسر مهما وجد محتاجاً أن يزيل حاجته فضلاً عن مال الزكاة بقول الله عز وجل: "وآتى المال على حبه ذوي القربى" البقرة 117 ، وقوله: "ومما رزقناهم ينفقون" البقرة 3 ، وقوله: " وأنفقوا مما رزقناكم " البقرة 354

أما القسم الثالث الذين يقتصرون على أداء الوجوب فلا يزيدون عليه ولا ينقصون منه وهي أقل المراتب

وقد اقتصر جميع العوام عليه بخلهم بالمال وميلهم إليه وضعف حبهم للآخرة فجاء التطهير الرباني من صفته البخل فإنه من المهلكات بقوله عز وجل:

"ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون "الحشر9 وإظهار شكر النعمة لله عز وجل على عبده نعمة في نفسه وماله فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن والمالية شكر لنعمة المال وما أخس من ينظر إلى الفقير وقد ضيق عليه الرزق و أحوج إليه ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدب شكر الله تعالى على اغتنائه عن السؤال وأحوج غيره إليه بربع العشر أو العشر من ماله وتأتي الصورة المقابلة وهي صورة المحتاج أن يكون مخفياً حاجته لا يكثر البث والشكوى أو يكون من أهل المروءة ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته فهو يتعيش في جلباب التجمل والتحمل قال الله تعالى :

"يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافاً " أو أن يكون معيلاً أو محبوساً بمرض أو سبب من الأسباب فيوجد فيه معنى قوله عز وجل: " للفقراء الذين احصروا في سبيل الله" البقرة 273 ، فكان عمر رضي الله عنه يعطي أهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها وكان صلى الله عليه وسلم يعطي العطاء على مقدار العيلة وسئل عمر رضي الله عنه عن جهد البلاء فقال (كثرة العيال وقلة المال)

ثم يأتي البناء الثاني في التصور الشامل للحياة والكون وما بعد الحياة من بعث وحشر الصوم فجعله الله حصناً لأوليائه وجنته قال الله عز وجل:

"وإنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب " الزمر10 فقد جاوز ثواب الصوم التقدير والحساب ومعرفة فضله بقوله صلى الله عليه وسلم :

"والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك " قال عز وجل " إنما يذر شهوته وطعامه لأجلي فالصوم لي وأنا أجزي به "[1] ، وكان لابد من تواجد معنى الصوم عن الطعام الحلال فلا معنى للصوم عن الطعام الحلال ثم الإفطار على الحرام بقوله صلى الله عليه وسلم " كم من صائم ليه له من صومه إلا الجوع والعطش "[2]، فقيل الذي يفطر على الحرام وقيل الذي يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة وقيل هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الآثام كذلك عم الإكثار من الطعام الحلال وقت الإفطار بحيث يمتلئ فما من وعاء أبغض إلى الله عز وجل من بطن مليء من حلال والزيادة في ألوان الطعام حتى استمرت العادات بأن يدخر جميع الأطعمة في رمضان فيؤكل من الطعام ما لا يؤكل في عدة أشهر ولقد كان مقصد ذو الألباب لقاء الله تعالى في دار الثواب وإلى طريق الوصول إلى لقائه إلا بالعلم والعمل ولا يمكن المواظبة عليها إلا بسلامة البدن ولا تصفوا سلامة البدن إلا في الأطعمة والأقوات والتناول منها بقدر الحاجة

[1] رواه البخاري
[2] رواه الدارمي بحوه وسنده جيد

قال بعض السلف: أن الأكل من الدين وعليه نبه سبحانه وتعالى" كلوا من الطيبات واعملوا صالحا" المؤمنون 51 ، وأن يكون الطعام بعد كونه حلالاً في نفسه طيباً في جهة مكسبه موافقاً للسنة والورع لم يكتسب بسبب مكروه في الشرع ولا بحكم هوى وقد أمر الله تعالى بأكل الطيب وهو الحلال وقدم النهي عن الأكل بالباطل على القتل تفخيماً لأمر الحرام وتعظيماً لبركة الحلال قال عز وجل: "يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل" البقرة 188 ، وقوله عزوجل: " ولا تقتلوا أنفسكم " فالأصل في الطعام كونه طيباً وهو من الفرائض وأصول الدين وكذلك إحضار النية بأكله أن يتقوا على طاعة الله تعالى واستكمالاً للنية أن لا تمد اليد إلى طعام إلا عند الجوع فيكون الجوع أحد ما لابد من تقديمه على الأكل ثم الرضا بالموجود من الرزق والحاضر من الطعام وعدم ذم مأكولاً كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يعيب مأكولاً ، كان إذا عجبه أكله وإلا تركه[1] ،والاجتهاد في تكثير الأيدي على الطعام ولو أهله فإن خير الطعام ما كثرت عليه الأيدي وتقديم الطعام إلى الإخوان٣ فيه فضل كثير قال علي رضي الله عنه: لأن أجمع إخواني على صاع من طعام أحب الي من عتق رقبه وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول من كرم المرء طيب زاده

[1] رواه البخاري ومسلم

في سفره وبذله لأصحابه وعلى المرء ألا يكون متربصاً لوقت طعام الآخرين فيدخل عليهم وقت الأكل فإن ذلك من المفاجآت وقد نهي عنه قال تعالى: " لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إياه " الأحزاب **53** ، أما اذا كان جائعاً فقصد بعض إخوانه ليطعمه ولم يتربص به وقت أكله فلا بأس به فكان من عادة السلف إذا دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واثقاً بصداقته عالماً بفرحه إذا أكل من طعامه فله أن يأكل بغير إذنه إذا المراد من الإذن الرضا ولا سيما في الأطعمة وأمرها على السعة فرب رجل يصرح بالإذن ويحلف وهو غير راضٍ فأكل طعامه مكروه ورب غائب لم يأذن وأكل طعامه محبوب وقد قال الله تعالى " أو صديقكم "النور**61** وقد مشى قوم إلى منزل سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وأنزلوا السفرة وجعلوا يأكلون فدخل الثوري وجعل يقول " ذكرتموني أخلاق السلف هكذا كانوا"

ثم يأتي عدم التكلف قال بعضهم:

"دخلنا على جابر رضي الله عنه فقدم خبزاً وخلاً وقال لولا إنا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم"

إن التكليف المنهب عنه هو ما يعجز عنه المسلم ويشق عليه فيضطره إلى الحرج أو الاستقراض وهل يليق بصاحب البيت أن يقدم لضيوفه وخاصة إذا جاؤوا من سفر حساء أعده لنفسه بسبب مرضه؟!!

إن إكرام الضيف من الإيمان بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه" قال أبو وائل: "مضيت مع صاحب لي نريد سليمان فقدم لنا خبز الشعير وملحاً جريشاً، فقال صاحبي: لو كان في الملح زعتر كان أطيب فخرج سليمان فرهن مطهرته وأخذ زعتراً فلما أكلنا قال صاحبي الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا، فقال سليمان لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة وكان الزعفراني يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من ألوان الطعام ويسلمها إلى الجارية، وقد نزل الشافعي عنده فأخذ الرقعة والحق فيها لوناً آخر من الطعام فلما عرف الزعفراني اشتد فرحاً بما فعل الشافعي وكان من السنة البدء بالطعام قبل الصلاة وفي الحديث:

"إذا حضر العشاء والعشاء فابدؤوا بالعشاء"[1] ،وكان ابن عمر رضي الله عنهما ربما سمع قراءة الإمام ولا يقوم من عشائه

[1] رواه البخاري ومسلم

*** السعي والانتشار ***

يحكى في الأثر " لا تأكل إلا طعام تقي ولا يأكل طعامك إلا تقي " ولا يقتصر على الأغنياء خاصة بل يضم معهم الفقراء قال صلى الله عليه وسلم:

"شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء ويحرم الفقراء" ولا يهمل الأقارب في الضيافة فإن إهمالهم إيحاش وقطع رحم ولا يقصد بالدعوة من باب المباهاة والتفاخر بل في استمالة قلوب الإخوان وإدخال السرور إلى قلوب المؤمنين ويستحب أن يحمل إلى أهل الميت فلما جاء نعي جابر بن أبي طالب قال النبي صلى الله عليه وسلم "إن آل جعفر شغلوا بميتهم عن صنع الطعام فأحملوا إليهم مما يأكلون"1، فكل هذه الأمور تبنى على أساس واحد وهو الكسب والمعاش قال عز وجل:

"وجعلنا النهار معاشاً" النبأ 18، وقال عز من قائل:

"وجلعنا لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون" النبأ 11

فقد جعلها الله نعمة وطلب شكر قال تعالى:

" فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله "الجمعة[1]، ومن السعي عن النبي صلى الله عليه وسلم

" لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من أن يأتي رجلاً أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه " [2]

---

[1] رواه أحمد وأبو داوود وسنده حسن

[2] رواه البخاري ومسلم

"وكان النبي صلى الله عليه وسلم جالساً مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا: ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله تعالى، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تقولوا هذا فإنه إن كان خرج يسعى على أولاده صغارا فهو في سبيل الله وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان"[1]

"وقيل يا رسول الله أي الكسب أطيب؟ قال: عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور"[2]

ومن أخبار الصحابة قال عمر رضي الله عنه: لا يقصد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللّٰهُمَّ أرزقني، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة وقال تبن مسعود رضي الله عنه: أني لأكره أن أرى الرجل فارغاً لا في أمر دنياه ولا في أمر آخرته وقيل لأحمد بن حنبل ما تقول فيمن جلس في بيته أو مسجده وقال لا أعمل شيئا حتى يأتيني رزقي؟

قال أحمد: هذا الرجل جهل العلم أما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي" [3]

ومن حكم لقمان الحكيم لابنه:

يابني استعن بالكسب الحلال على الفقر فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال:

---

[1] رواه البخاري ومسلم

[2] رواه البخاري ومسلم

[3] رواه أحمد ومسلم وأبو داود وابن ماجه

رقة في دينه وضعف في عقله وذهاب مروءته وأعظم من هذا استخفاف الناس به، وقال أبو سليمان الداراني: ليس العبادة عندنا أن تصف قدميك في الصلاة وغيرك يتعب لك ولكن أبدأ برغيفك فأحرزها ثم تعبد

ومن هنا تأتي المعاملة الحياتية فيجب أن تتم على وجه العدل وبعيداً عن الظلم فإن من ظلم يتعرض لسخط الله تعالى

ومن أنواع الظلم الاحتكار فادخار البائع للطعام له منتظراً غلاء الأسعار ظلم على صاحبه مذموم شرعاً وذلك في وقت قلة الطعام وحاجة الناس إليه حتى إن يكون في تأخير بيعه ضرر أما إذا كثرت الأطعمة واستغنى الناس عنها ولم يرغبوا فيها إلا بقيمة قليلة فانتظر صاحب الطعام ذلك ولم ينتظر قحطا فليس في هذا ضررًا أما إذا كان الزمان زمان قحط في ادخاره إضراراً فلا ريب في تحريمه ومع عدم الضرار لا يخلوا احتكار الأقوات عن كراهة فانه ينتظر مبادئ الضرار وهو ارتفاع الأسعار وانتظار مبادئ الضرار أيضاً محذور فانتظار عين الضرار ولكن دونه وانتظار عين الضرار أيضاً هو دون الإضرار فبقدر درجات الأضرار تتفاوت درجة الكراهة والتحريم ودليل تحريم الاحتكار قوله صلى الله عليه وسلم " ولا يحتكر إلا خاطئ"[1]

ثم يأتي ترويج الزيف من الدراهم في أثناء النقد فهو ظلم إذ يستضر به المعامل أن لم يعرف وإن عرف سيروجه على غيره فيتردد في الأيدي ويعم

[1] رواه أحمد ومسلم وأبو داود وابن ماجه

الضرر ويتسع الفساد ويكون وزر الكل وباله راجعاً إليه لأنه هو الذي فتح هذا الباب قال البعض: " إتقان درهم زيف أشد من سرقة مائة درهم لأن السرقة معصية واحدة وقد تمت وانقطعت ومعصية إنفاق الزيف قد يكون عليه وزرها بعد موته إلى مئة سنة إلى أن يفنى ذلك الدرهم ويكون عليه ما فسد من نقص أموال الناس وطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مئة سنة أو أكثر يعذب بها في قبره ويسأل عنها إلى آخر انقراضها قال تعالى

" ونكتب ما قدموا وآثارهم " يس **12**

فالعدل أن لا يضرب بأخيه المسلم والضابط الكلي فيه أن لا يحب لأخيه ما لا يحبه لنفسه، ثم لا يثنى عن السلعة بما ليس فيها لأنه كذب فإن قبل المشتري ذلك فهو تلبيس وظلم وإن لم يقبل فهو كذب وإسقاط مروءة، ولا ينبغي أن يحلف عليها البتة فإنه إن كان كاذباً فقد جاء باليمين الغموس وهي من الكبائر وفي الخبر: اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للبركة[1]، وماورد عن النبي صلى الله عليه وسلم:

[1] رواه البخاري ومسلم

بأن مر برجل يبيع طعاماً فأعجبه فأدخل فيه يده فرأى بللاً، فقال: "ما هذا؟ قال: أصابته السماء. فقال: فهل جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس؟ "من غشنا فليس منا" ويحكى من الأثر أن واثلة ابن الأسقع واقفاً بالسوق فباع رجل ناقة له بثلاث مئة درهم فغفل واثلة وقد ذهب الرجل بالناقة فسعى وراءه وجعل يصيح به: يا هذا اشتريتها للحم أو الظهر؟ فقال الرجل بل للظهر فقال إن يخفيها نقبا قد رأيته وإنها لا تتابع السير، فعاد فردها فنقصها البائع مائة درهم وقال لواثلة رحمك الله أفسدت عليّ بيعي فقال إنا بايعنا رسول الله صلى إليه عليه وسلم على النصح لكل مسلم وقال سمعت رسول الله يقول: لا يحل لأحد ببيع بيع إلا أن يبين آفته ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا تبينه "[1]ولهذا فقد فهموا من النصح : أن لا يرضى لأخيه ما يرضى لنفسه ولم يعتقدوا ذلك من الفضائل وزيادة المقامات فحسب بل اعتقدوا أنه من شروط الإسلام الداخلة في بيعتهم وإن كان هذا الأمر يشق على النفس أما الفسحة في احتمال الغبن والمشتري إن اشترى طعاماً من ضعيف وشيئاً من فقير فلا بأس بالرضا بالغبن ويتساهل ويكون محسناً وعلى العاقل أن يشفق على نفسه وشفقته على نفسه بحفظ رأس ماله وهو دينه وتجارته فيه في حسن النية في ابتداء التجارة واستعانة بما

[1] رواه البيهقي والحاكم وقال إسناده حسن

يكسب على الدين ولتكون نيته النصح للمسلمين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل ما يراه في السوق فإن استفاد مالاً فهو مزيد وإن خسر في الدنيا ربح في الآخرة وعلى الإنسان المسلم أن يقصد القيام في ضيعته أو تجارته بفرض من فروض الكفايات فإن الصناعات والتجارات لو تركت بطلت المعايش وهلك أكثر الخلق فانتظام أمر الكل بتعاون الكل وتكفل كل فريق بعمل ولا يمنعه سوق الدنيا عن سوق الآخرة "المساجد"

قال تعالى: "رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة " النور37 ، فكان السلف يبتدرون عند الآذان ويخلون الأسواق لأهل الذمة والصبيان وقد امر الله تعالى بالأكل من الطيبات قبل العمل قال الله عز وجل " كلوا من الطيبات واعملوا صالحا" المؤمنون 51 ، ثم أمر " ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل " البقرة 188، ويكمل الله علامات الحلال والحرام بقوله " إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا" النساء 10 ، " وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين" ثم قال: "فإن لم تفعلوا فأزنوا بحرب من الله ورسوله" ثم "وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم" ثم "ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون" البقرة 279

وقد جعل الله أكل الربا في أول الأمر مؤذناً بمحاربة الله وفي آخره متعرضاً للنار، قال صلى الله عليه وسلم: ما أكل أحد طعاماً قط خير من أن يأكل من عمل يده وأن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده[1]

وقد ورد أن الصديق رضي الله عنه شرب لبنا من كسب عبده ثم سأل عبده؟ فقال تكهنت لقوم فاعطوني فأدخل أصابعه فيه وجعل يتقيأ حتى ظننت أن نفسه ستخرج ثم قال اللّٰهُمَّ إني أعتذر إليك مما حملت العروق وخالط الأمعاء وقال سهل التستري: لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يكون فيه أربع خصال: أداء الفرائض بالسنة وكل الحلال بالورع واجتناب النهي ظاهرًا وباطنًا والصبر على ذلك بالموت ويذكر عن بشر الحافي أنه من الورعين فقيل له: من أين تأكل؟ فقال من حيث تأكلون ولكن ليس من يأكل وهو يبكي كمن يأكل وهو يضحك

وقال يد أقصر من يد ولقمه أصغر من لقمة وعلى الفقير أن يكون قانعاً منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت إلى ما في أيديهم ولا حريص على اكتساب المال كيف كان لئلا يتدنى بذل الحرص فيجره إلى مساوئ الأخلاق وارتكاب المنكرات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثاً[2]"، فالو اجب الاقتصاد في المعيشة والرفق في الإنفاق وهو الأصل في القناعة فإن من كثر خرجه واتسع إنفاقه لم تمكنه

[1] رواه البخاري
[2] رواه البخاري

القناعة والتحقق بأن الرزق الذي قدر له لابد أن يأتيه وأن لم يشتد حرصه وكذلك المعرفة ما في القناعة من عز الاستغناء وما في الحرص والطمع من الذل والمداهنة.

وعلى المسلم أن يكثر تأمله في تنعم الكفرة والحمقى ثم ينظر أحوال الأنبياء والأولياء ويطالع أحوالهم ويخير عقله بين أن يكون على مشابهة الفجار أو الأبرار فيهون الصبر على القليل والقناعة باليسير

ثم يأتي الإيثار بقوله عز وجل: "ويؤثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة " الحشر9 ، وقد ورد أنه نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند أهله شيئا فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب بالضيف إلى أهله ثم وضع بين يديه طعام وأمر امرأته بإطفاء السراج وجعل يمد يده إلى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حتى أكل الضيف الطعام فلما أصبح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد عجب الله من صنيعكم الليلة إلى ضيفكم[1]، وقيل خرج عبد الله بن جعفر رضي الله عنه إلى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيه غلام أسود يعمل فيه إذ آتى الغلام بقوته فدخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرمى الغلام إليه بقرص فأكله، ثم رمى إليه الثاني والثالث فأكلها الكلب وعبد الله ينظر إليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم؟ قال ما رأيت! قال فلم آثرت به هذا الكلب؟ قال ما هي بأرض كلاب إنه جاء من

[1] رواه البخاري

مسافة بعيدة جائعاً فكرهت أن أشبع وهو جائع قال فما أنت صانع؟ قال أطوي يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر الأم على السخاء وإن هذا الغلام أسخى مني فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الآلات، فأعتق الغلام ووهبه منه، قال حذيفة العدوي:

انطلقت يوم اليرموك من أيام فتوح الشام أطلب ابن عم لي ومعي شيء من ماء، وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته ومسحت به وجه، فإذا أنا به فقلت أسقيك، فأشار إلي نعم، فإذا رجل يقول آه فأشار ابن عمي إلي أي انطلق به إليه قال فجئته فاذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك فأشار إلي نعم، فإذا رجل يقول آه فأشار هشام أن انطلق إليه فجئته فإذا هو مات فرجعت إلى هشام فإذا هو مات، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو مات، رحمة الله عليهم أجمعين، وقال عروة: رأيت عائشة رضي الله عنها تقسم سبعين ألفاً وهي ترقع درعها، وعنها أنها قسمت في يوم ثمانين ومئة ألف بين الناس، فلما أمست قالت: يا جارية علي بفطوري فجاءتها بخبز وزيت، فقالت لها أم دره: أما استطعت فيما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحماً نفطر عليه؟ فقالت: لو ذكرتني لفعلت

* التوكل *

قال تعالى: "وعلى الله فليتوكل المؤمنون" ال عمران 122 ، وقال تعالى: "ومن يتوكل على الله فهو حسبه" الطلاق 3 ، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تعمد خماصاً وتروح بطاناً"[1]، وقد يظن البعض أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الأرض كالخرقة وكلحم على وضم، وهذا ظن الجهال فإن ذلك حرام شرعاً، بل التوكل بالعلم والحال، أما العلم إن الله تعالى خلق الطعام واليد والأسباب وقوة الحركة وأنه هو الذي يطعمك ويسقيك وأما الحال فهو أن يكون قلبك واعتمادك على فضل الله تعالى لا على الغير والطعام، لأنه ربما جفت يدك وبطلت حركتك وربما سلط الله عليك من يغلبك على الطعام، فمد اليد إلى الطعام لا ينافي التوكل، قال عمر رضي الله عنه: المتوكل الذي يلقي حبة في الأرض ويتوكل على الله، وعنه أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبيع نخل بني النضير ويحبس لأهله قوت سنتهم[2]،

[1] رواه الترمذي وابن ماجه وسنده حسن
[2] رواه البخاري ومسلم

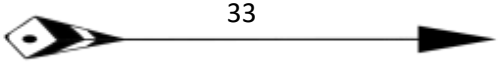

*** الشريعة والنقود ***

قال تعالى: "ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار يؤده إليه ومنهم من أن تأمنه بدينار لا يؤده إليك" آل عمران75 ، وهكذا فقد اهتمت الشريعة بالنقود في ميدان العبادات والمعاملات وذلك لاتصال النقود بالزكاة والصداق والعقود وكذلك الوقف والعقوبات "الدية وغيرها" وقد أطلق اسم السكة على النقود العربية التي تضرب في دور السك وكانت الوسيلة الوحيدة في التعامل في العصور الوسطى بين مختلف شعوب العالم، أما لفظ (دينار) فهو مشتق من اللفظ اليوناني (DENARIUS AUREUS) وهو اسم وحده من وحدات السكة الذهبية عند العرب قبل الإسلام وقد تعاملوا بها بعده

وقد عرف العرب قبل الإسلام الدراهم الساسانية والدنانير البيزنطية، وقد ورد ذكرها في أخبارهم وأشعارهم ويذكر البلاذري أن العرب كانوا يتبايعون بالدنانير على أنها (تبر) ويطلقون عليها (العين) كما يطلقون على الدراهم الفضية كلمة (الورق) فلما جاء الإسلام أقر الرسول صلى الله عليه وسلم النقود على ما كانت عليه، وتعامل الرسول بنفسه فهذه النقود فزوج علياً كرم الله وجه ابنته فاطمة رضي الله عنها على480 درهم، كذلك فرض الزكاة على الأموال بهذه النقود السائدة، فجعل كل خمس اوقيات من الفضة خمسة دراهم، كما جعل في كل عشرين ديناراً نصف دينار، ولقد كان عهد وخلافة عبد الملك بن مروان كافة الشرق العربي خاضعاً لخليفة أموي

واحد573 (ه) وفي عام 577 أصبح العالم العربي يمثل أمة واحدة وضربت أول نقود عربية كضرورة من ضرورات الاستقرار الاقتصادي والسياسي، ولا يختلف المؤرخون العرب في نسبة الطراز العربي للنقود إلى عبد الملك بن مروان[1]

وكان للمؤرخ المقريزي رأياً خاصاً في العامل النقدي على أنه الشيء الأساسي في حياة المجتمعات، وعلى الأثر العظيم الذي يتركه النقد في الحياة الاقتصادية والاجتماعية "فهو يمكن أن يكون عامل اضطراب كما يمكن أن يكون عامل استقرار"، وقد كان واضحاً في المجتمع العربي في المجاعات وارتفاع الأسعار، غلاء المبيعات، فكانت الضائقات الاقتصادية العنيفة والهزات الاجتماعية، ولم يكن ارتفاع الأسعار السبب الأساسي في ذلك، بل كان الارتفاع نتيجة لسبب آخر هو كثرة النقود المتداول ورواج النقود النحاسية خاصة، ثم يتوجه المقريزي

[1] النقود العربية ماضيها وحاضرها للدكتور عبد الرحمن فهمي محمد /1964 م

لسبب آخر في اضطراب الحياة الاقتصادية والاجتماعية هو المجاعات وإنها ليست شيئاً مفروضاً على الإنسان من علو ينزل بأمر ويرتفع بأمركما إنها ليست ناجمة عن جهل الطبيعة وعماها دون أن يكون للإنسان نصيب فيها، بل هي ظاهرة مادية اجتماعية لم تلازم البشر دائماً، ولكنها تقع آناً وتنقطع آناً آخر" تقع عندما تجتمع أسبابها ودواعيها وتنقطع عندما تنتهي تلك المسببات والدواعي، ويرجع المقريزي أن هذه المجاعات إذا وقعت إنما تقع نتيجة لسوء تدبير الزعماء والحكام وغفلتهم في مصالح العباد، فعندما ينتشر شراء المناصب والمراكز الحكومية نتيجة لحاجة السلطان دائماً إلى المال، فأقرب الطرق وأيسرها هي وسيلة (تلزيم) المناصب الإدارية الكبرى لمن يقدر على الدفع بغض النظر عن الجدارة الأهلية ويكون هدف طالب المركز هو التجارة والكسب وجني أضعاف ما دفعه نظير ذلك المنصب، فتقع المصائب نتيجة للمناصب الكبيرة والصغيرة بين أيدٍ لا أخلاق لها، ولا جدارة لديهم، بل همهم الكسب وتحصيل الأموال ليدفعوا ما عليهم تجاه السلطان أول أو ليسدوا ويشبعوا حاجتهم منه ثانيا فتزداد الضرائب وتكثر أنواعها وتصادر الأموال ويشتد الإكراه والبغي حي ولا بأس من إتلاف الأنفس وإراقة الدماء واسترقاق العباد، وهذه الأحوال بطبيعة الحال لا تفسح في المجال أمام تقدم التجارة والصناعة والزراعة بل إنها تفتح طريق الخراب والبوار أمامها سريعاً، وهذه عادة الله تعالى في خلقه إذا خالفوا أمره وأتوا محارمه، أن تصيبهم بذلك جزاء ما كسبوا من عمل أيديهم

*** الآفات السماوية ***

على سبيل الاختصار ما حل بمصر خاصة من الغلاء، فقد كان أول غلاء وقع بمصر في زمان الملك السابع عشر من ملوك مصر قبل الطوفان واسمه "أفروس بن مناو" الذي كان طوفان نوح عليه السلام في زمنه على قول: "هرجيب بن شهلوف، وكان سببه ارتفاع الماء وقلة ماء النيل فعقمت أرحام البهائم ووقع الموت ثم وقع غلاء في زمن "فرعان بن مسور" وهو التاسع عشر من ملوك مصر قبل الطوفان وسببه أن الظلم والفتنه كثر حتى لم يذكرها أحد فأجدبت الأرض وفسدت الزروع وجاء بعقب ذلك الطوفان، فهلك الملك فرعان وهو سكران وهو أول من يسمى باسم فرعون[1] ، ثم وقع غلاء في زمن " أتريب بن مصريم "[2]، ثالث عشر ملوك مصر بعد الطوفان وكان سببه أن ماء النيل توقف جريه مدة مائة وأربعين سنة فأكل الناس البهائم حتى

[1] كتاب أخبار مصر قبل الإسلام الأستاذ/إبراهيم بن وصيف شاه
[2] كتاب أخبار مصر قبل الإسلام الأستاذ/إبراهيم بن وصيف شاه

حتى فنيت كلها وصار الملك أتريب ماشياً ثم أضعفه الجوع حتى لم يبق به حركه سوى أن يبسط كفيه ويقبضها من الجوع، فلما اشتد الأمر عليه وطال احتباس النيل وشمل الموت أهل الإقليم كتب أتريب إلى " لازد بن سام بن نوح عليه السلام بذلك، فكتب لازد إلى أخيه "ارفنخثزبن سام" فلم يجبه بشيء حتى بعث الله هوداً عليه السلام، فكتب إليه أتريب يلتمس منه الدعاء برفع ما نزل بأرض مصر فأجابه هود عليه السلام: إني أدعو لكم في يوم كذا فانتظر فيه جري النيل، فلما كان ذلك اليوم جمع أتريب من بقي بمصر من الرجال والنساء وهم قليل فدعوا الله تعالى وضجوا واستغاثوا إليه، وكان ذلك في انتصاف النهار في يوم جمعة، فأمر الله سبحانه وتعالى النيل في تلك الساعة إلا أنه لم يكن عندهم ما يزرعونه، فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى هود عليه السلام، أن ابعث إلى أتريب بمصر يأتي لحف جبلها وليحفروا بمكان كذا، فكتب هود إلى أتريب يعلمه، فجمع قومه وحفروا، فإذا عقود عقدت بالرصاص وتحتها غلال كأنها وضعت حينئذ وهي باقية في سنبلها لم تدرس فمكثوا ثمانية شهور في نقلها وزرعوا منها وتقوتوا نحو خمس سنين، فأخبره أخوه صابر بن مصريم أن أولاد قابيل بن آدم عليه السلام لما انتشروا في الأرض وملكوها علموا حادثة ستحدث في الأرض فبنوا هذا البناء ووضعوا فيه الغلال، ودام الرخاء مدة مائتي سنة، ثم وقع الغلاء في زمن المالك الثاني والثلاثين من ملوك مصر بعد الطوفان "نوهو الثاني" من ملوك العمالقة والثالث من ملوك الفراعنة في قول مؤرخ

القبط وقد اختلف في اسم الملك فقيل اسمه " نهرواس" وقيل اسمه " الريان بن الوليد بن رفع العمليق "، ودق دابر أمر الغلاء سيدنا يوسف عليه السلام وقد ذكره الله تعالى في القرآن الكريم وكذلك التوراة، وعند مبعث موسى عليه السلام إلى فرعون وقع غلاء وجدب هلكت فيه الزرع والأشجار وفقدت فيه الحبوب والثمار وعم الموت الحيوانات كلها وقد ذكر خبر هذا الغلاء في كتب التاريخ اليهودي وغيرهم وكفي دلالة قوله تعالى: "ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون" وقوله: "ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الأموال والأنفس والثمرات لعلهم يتذكرون"،

* الغلاء في أرض الإسلام *

كان أول غلاء في الإسلام سنة سبع وثمانين من الهجرة بمصر في ولاية عبد الله بن عبد الملك بن مروان من قبل أبيه، فتشاءم به الناس لأنه كان أول غلاء وأول شدة رآها المسلمون بمصر

وفي محرم ثمان وثمانون وثلاثمائة في عهد الدولة الأخشيدية في ولاية الأمير أبو القاسم أنوجور ابن الأخشد، وقع غلاء فثارت الرعية ومنعوه من صلاة العتمة[1]" ، في الجامع العتيق، ثم جاء مرة أخرى بعد ثلاث سنوات في سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة كثر حيوان الفأر في أعمال مصر وأتلف الغلال والحقول وزاد الأمر قصر مد النيل وهنا ارتفعت الأسعار في شهر رمضان ومر عامان سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة اشتد الغلاء وبيع القمح كل ويبتين[2]" بنصف دينار، ثم شح واختفي من الأسواق وثارت الرعية وكسروا منبر الجامع بمصر واستمر تسع سنين متتابعة وكان الوالي يومئذ علي بن الأخشيد ومدبر الأمور وقتها، كان أبو المسك كافور الأخشيدي فما كان بدينار واحد أصبح بثلاثة دنانير وعز الخبز فلم يوجد واشتد الغلاء وانتقصت الأعمال لكثرة الفتن ونهبت الضياع والغلات وهاج الناس فدخلوا الجامع العتيق بالفسطاط يوم جمعة وازدحموا عند المحراب فمات رجل وامرأة في الزحام ولم تصل الجمعة يومئذ، ثم مات كافور وبدأت

[1] العتمة: الثلث الأخير من الليل بعد غيبوبة الشفق وقت صلاة العشاء
[2] الويبة: مكيال للحبوب سعته سدس الأردب

حروب كثيرة بين الجند والأمراء قتل فيها خلق كثير ونُهبت أسواق البلاد وأحرقت مواقع عديدة فاشتد خوف الناس وضاعت أموالهم وتعذر وجود الأقوات واختلف العسكر حتى وصل الأمر إلى المعز لدين الله الفاطمي، وفي سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، دخل القائد جوهر بعساكر الإمام المعز لدين الله وبنى القاهرة المعزية ونظر في الأسعار وضرب جماعة من الطحانين وطيف بهم، ثم جمع سماسرة الغلات بمكان واحد وتقدم الأتباع الغلات إلا هناك فقط ولم يجعل لمكان البيع غير طريق واحد فلا يخرج قدح قمح إلا ويقف عليه سليمان بن عزة المحتسب، ولكن استمر الغلاء وكثر الموت حتى عجز الناس عن تكفين الأموات ودفنهم، فكان من مات يطرح في النيل، وبقدوم عام سنة إحدى وستين وثلاثمائة ارتاحت الأسعار وأخصبت الأرض وبدأ الرخاء.

*تواتر مشاهد المجاعات *

توقف النيل حتى كسر الخليج في آخر مسرى والماء على خمسة عشر ذراعاً وسبعة أصابع وانتهت الزيادة في ست عشر ذراعاً واصابع ، وهنا وقفت الأحوال في الصرف وسميت الدراهم (الدراهم المزايدة والقطع)، وصرف الدينار بستة وعشرين درهما وارتفع سعر الدينار إلى أن كان في سنة سبع وتسعين وثلاثمائة كل أربعة وثلاثين درهما بدينار وزاد اضطراب الناس وتدخل بيت المال بإنزال عشرين صندوقاً مملوءة بالدراهم وزعت على الصيارف ونودي في الناس بالمنع من المعاملة بالدراهم القطع والمزايدة وأن يحملوا ما بأيديهم منها إلى دار ضرب النقود وأجلوا ثلاث أيام، فشق ذلك على الناس لإتلاف أموالهم، فكان يدفع في الدرهم الواحد من الدراهم الجدد أربعة دراهم من الدراهم القطع والمزايدة، ثم أمر أن يكون الخبز كل اثني عشر رطلًا بدرهم من الدراهم الجدد وأن ينصرف الدينار بثمانية عشر درهماً منها، ثم بدأ العقاب على الطحانين والخبازين بالضرب بالسياط وشهروا من أجل ازدحام الناس على الخبز، فكان لا يباع مبلولًا، ثم قصر النيل مرة أخرى وازداد البلاء على الناس وحينها ظهرت أوامر لمسعود الصقلي بالنظر في أمر الأسعار، فجمع الغلال والطحانين والخبازين وعلى ما بالسجل من غلال وسعر القمح كل تليس[1]"، بدينار إلا قيراط، والشعير عشر ويبات بدينار والحطب عشر حملات بدينار وسعر باقي الحبوب

[1] تليس: كيس من الصوف أو الخوص ذو سعة محدودة

والمبيعات، فسكن الناس بوجود الخبز ثم كثر الازدحام عليه وتعذر وجوده في العشايا[1]"، واشتد الأمر مرة أخرى فبلغ الدقيق كل حملة بدينار ونصف والخبز ستة أرطال بدرهم، وتوقف النيل عن الزيادة فاستسقى الناس مرتين، ثم ارتفعت الأسعار فبلغ حمل الدقيق ستة دنانير ولحم البقر رطل ونصف بدرهم ولحم الضأن رطل بدرهم والبصل عشرة أرطال بدرهم الجبن ثماني أواقٍ بدرهم وزيت الأكل ثماني أواقٍ بدرهم وزيت الوقود رطل بدرهم ورغم المحاولات اشتد الضيق بالناس فاجتمعوا بين القصرين واستغاثوا بالحاكم في أن ينظر لهم وسألوه أن لا يهمل أمرهم فركب حماره وخرج من باب البحر ووقف وقال: "إما ماضٍ إلى جامع راشده[2]"، وأقسم بالله لئن عدت فوجدت موضعاً يطأه حماري مكشوفاً من الغلة لأضربن رقبة كل من يقال في أن عنده شيئاً من الغلة، ثم أحرق داره وانهبن ماله **4**"، وفي آخر النهار ما بقي أحد من سكان مصر والقاهرة وعنده غلة حتى حملها من بيته وشؤونها في الطرقات، فامتلأت عيون الناس وشبعت نفوسهم وأمر الحاكم بما يحتاج إليه في كل يوم ففرقه على أرباب الغلات بالنسيئة**2**"وخيرهم في أن يبيعوا بالسعر الذي يقرره بما فيه الفائدة المحتملة لهم وبين أن يمتنعوا فيختم على

المقريزي إغاثة الأمة / النسيئة التأخير والتأجيل

[1] العشايا: جمع عشية أي آخر النهار

[2] جامع راشدة يقع في جنوبي الفسطاط يحمل اسم راشدة قبيلة أبان الفتح العربي لمصر

على غلاته ولا يمكن بيعها الى حين دخول الغلة الجديدة، فاستجابوا لقوله وأطاعوا أمره وارتاحت الأسعار وارتفع الضرر، وفي سنة أربع وأربعين وأربعمائة في خلافة المستنصر ووزارة الناصر لدين الله أبي محمد بن على بن عبد الرحمن البازوري انحسر ماء النيل وليس بالمخازن السلطانية شيء من الغلات، وكان الوزير قد أسند إليه القضاء في وزارة أبي البركات وكان نزل إلى الجامع بمصر يوم السبت والثلاثاء فيجلس ويحكم وإذا صلى العصر رجع إلى القاهرة وكان هذا من أشد الأسباب لخلو المخازن السلطانية من الخبز لعدم متابعة الوزير، وكان لكل صنعة من الصنايع عريف يتولى أمرهم وكان لعريف الخبازين دكان يبيع الخبز بها، وكان آخر لصعلوك يبيع الخبز بها أيضاً وكان سعر يومئذ أربعة أرطال بدرهم وثمن، فإذا برد الخبز قل بيعه وذلك لسوء صنعته، فرأى الصعلوك أن خبزه قد كان برد فخاف من كساده فنادى عليه أربعة أرطال بدرهم فقط دون الثمن، ليرغب فيه الناس فأقبلوا للشراء حتى بيع كله لتسامحه في السعر وبقي خبز العريف كاسداً فاغتاظ العريف فوكل رجلين من رجال الحسبة فغرموا الصعلوك عشرة دراهم وفي حينها كان قاضي القضاة أبو محمد البازوري يمر فاستغاث به الصعلوك فأحضر المحتسب وأنكر عليه فعله مع الصعلوك ودفع إلى الصعلوك ثلاثين رباعياً[1]"، من الذهب فكاد الصعلوك أن يطير عقله من الفرح، ثم عاد إلى حانوته فإذا عجنته قد خبزت فنادى عليها خمسة أرطال

[1] نوع من النقد قد استحدثه الخليفة المأمون

بدرهم فمال الزبائن عليه وخاف من سواه من الخبازين برد أخبازهم فباعوا كبيعه، ثم نادى ستة أرطال بدرهم فأدتهم الضرورة إلى اتباعه، فلما رأى الناس تنافسهم مع قصد النكاية أخذ يزيد رطلاً رطلاً والخبازون يتبعونه في بيعه خوفاً من البوار حتى بلغ النداء عشرة أرطال بدرهم، وانتشر ذلك في البلد جميعه، وفي سنة سبع وأربعين وأربعمائة نظم الوزير أبو محمد بما كتر فكره بأن يبتاع التجار غلاتهم

قبل إدراكها بسعر فيه ربح لهم ثم يحضرون إلى الديوان ويقومون للجهبز[1]" عنهم بما عليهم ويثبت ذلك رزنامج[2]" للجهبز مع مبلغ الغلة وما قاموا به، فإذا صارت الغلال في البيادر حملها التجار إلى مخازنهم، ثم منع الوزير أبو محمد من ذلك، وكتب إلى عامة النواحي باستعراض روزنامجهات الجهابزة وتحرير ما قام به التجار عن العاملين ومبلغ الغلة الذي وقع الابتياع عليها وأن يقوموا للتجار بما وزنوه للديوان ويربحونهم في كل دينار، ثم دينار تطيباً لنفوسهم وأن يضعوا ختومهم على المخازن ويطالعوا بمبلغ ما حصل تحت أيديهم فيها، فلما حصل عنده علم ذلك جهز المراكب وحصل الغلال من النواحي إلى المخازن السلطانية بمصر وقرر ثمن التليس ثلاثة دنانير بعد أن كان بثمانية دنانير وسلم إلى الخبازين ما يبتاعونه لعمارة الأسواق ووظف ما يحتاج إليه البلدان القاهرة ومصر وكان ألف تليس دوار

[1] الكاتب عند ابن مماتي يحرر الوصلات
[2] لفظ فارسي معناه السجل اليومي

كل يوم، لمصر سبعمائة وللقاهرة ثلاثمائة، فقام التدبير أحسن قيام مدة عشرين شهراً إلى أن جاءت غلة السنة الثانية فتوسع الناس بها وزال عنهم الغلاء وما كانوا يتألمون لحسن التدبير، وفي سنة سبع وخمسين وأربعمائة في أيام المستنصر قصر النيل وشحت المياه للري فكان سبباً في ضعف السلطنة واختلال أحوال المملكة واستيلاء الأمراء على الدولة فارتفعت الأسعار وزاد الغلاء وأعقبه وباء وتعطلت الأراضي من الزراعة وانتشر الجوع حتى بيع رغيف الخبز في النداء بزقاق القناديل من الفسطاط كبيع طرف الخبز[1]" بخمسة عشر ديناراً وبيع الأردب من القمح بثمانين دينار وتوجه الناس إلى أكل الكلاب والقطط حتى قلت الكلاب وبيع الكلب ليؤكل بخمسة دنانير وزاد الحال حتى أكل الناس بعضهم بعضاً وتحرز الناس فكانت طوائف تجلس بأعلى بيوتها ومعم سلب وحبال فيها كلاليب إذا مر بهم أحد ألقوها عليه ونشلوه في أسرع وقت وشرحوا لحمه وأكلوه، ثم آل الأمر إلى أن باع المستنصر ما في قصره من ذخائر وثياب وأثاث وسلاح وغيره، وأصبح يجلس حسيراً، وتعطلت دواوينه وذهب وقاره حتى أصبح نساء القصور تخرجن ناشرات شعورهن يصحن الجوع، تردن المسير إلى العراق فتسقطن عند المصلى وتمتن جميعاً، ولشدة احتياج المستنصر باع حلي قبور آبائه ووصل الحال بالوزيرين يوماً كان يركب بغلته فأكلها العامة وتجرأ بشنق طائفة منهم فاجتمع عليهم الناس فأكلوهم، ثم وصل الحال أن المستنصر لا يجد

[1] طرف الخبز: كمية من الخبز معدودة

قوت يومه، فكانت امرأة من الشريفات تبعث إليه في كل يوم بقعب"[1]، من فتيت وأنفقت مالها كله في سبيل الخير وكان عظيم من الإحصاء، وتأتي الحادثة العجيبة لامرأة من أرباب البيوت أخذت عقداً له يقدر ثمنه بألف دينار وعرضته في مقابل بعض الدقيق والكل يمتنع عنها حتى باع لها رجل تليس دقيق بمصر وكانت تسكن القاهرة، ثم قامت بتسليمه لرجال لحمايته حتى تصل إلى القاهرة وفي باب زويلة تسلمته وسارت قليلًا فانتبه لها الناس فنهبوه منها حتى لم تحصل إلا على ملء كفيها من الدقيق، ثم عجنته وخبزته قرصة من الخبز ثم وقفت على مكان مرتفع ورفعت القرصة بيديها حتى يشاهدها الناس وأخذت في الاستهزاء بالمستنصر وقالت:

يا أهل القاهرة ادعوا لمولانا المستنصر الذي أسعد الله الناس بأيامه، وأعاد عليهم بركات حسن نظره حتى تقومت على هذه القرصة بألف دينار

سمع المستنصر بكلام المرأة ومدى سخفها به وتحقيرها له، والغريب أنه لم يتحرك في نفسه ولا في أمر رعيته إلا بعد سماع كلمات تلك المرأة، فأحضر الوالي بديوان حكمه وتهدده وأقسم بالله إن لم يظهر الخبز في الأسواق وتهبط أسعاره حتى يكون في متناول شعبه، ضرب رقبة الوالي وانتهب ماله فقام الوالي بعد أن خرج من بين يدي المستنصر ودبر حيلة ماكرة، فأمر بإخراج بعض السجناء من الحبس وكان عليهم حد القتل وألبسهم ثياباً عظيمة ليظهروا كأنهم تجار، ثم جمع تجار الغلة والخبازين والطحانين

[1] قعب: إناء واسع كان مشهوراً في هذا الوقت

وعقد مجلساً، ثم أدخل واحد من هؤلاء المساجين بملابسه العظيمة وقال له:

ويلك أما كفاك أنت خنت السلطان واستوليت على مال الديوان إلى أن خربت الأعمال ومحقت الغلال وأدى ذلك ان اختلت الدولة وهلاك الرعية، وأمر السياف بضرب رقبته فضربت في الحال وتركه ملقى أمام المجلس وأكمل التمثيل والحوار بإحضار آخر من السجناء وقال له: كيف جسرت على مخالفة الأمر لما نهي عن احتكار الغلة وتماديت في ارتكاب ما نهيت عنه حتى تشبه به غيرك فهلك الناس، اضرب رقبته فضربت في الحال، ثم استدعى آخر وهناك قام الحاضرين من التجار والطحانين والخبازين وقالوا:

أيها الأمير ما جرى كفاية ونحن نخرج الغلة وندير الطواحين ونغمر الأسواق بالخبز ونرخص الأسعار على الناس ونبيع الخبز رطلاً بدرهم، فقال لهم:

"ما يقنع الناس منكم بهذا"[1] فقالوا رطلين فوافق بعد الضراعة ووفوا بالشروط، وتدارك الله الخلق وأجرى ماء النيل، وسكنت الفتن وزرع الناس وتلاحق الخير.

[1] 1 إغاثة الأمة بكشف الغمة للمقريزي

(الخليفة الآمر بأحكام الله)

وفي أيام الخليفة الآمر ووزارة الأفضل، بلغ القمح في كل مائة أردب بمائة وثلاثين دينار فأعطى أوامره إلى القائد أبي عبد الله بن فاتك الملقب بالمأمون البطائحي، أن يدبر الحال، فختم على مخازن الغلال وأحضر أصحابها وخيرهم في أن تبقى غلاتهم مختومة إلى أن يصل محصول الغلال الجديد أو يفرج عنها وتباع بثلاثين دينار كل مائة أردب، فمن أجاب عنه وباع بالسعر المتفق عليه، ومن لم يجب أبقى الختم على محصول غلته، وقدر ما يحتاج إليه الناس في كل يوم من الغلة وكذلك قدر الغلال التي أجاب التجار بيعها وما تدعوا إليه الحاجة بعد ذلك من بيع غلات الديوان للطاحنين، وسار الأمر إلى أن دخلت غلال المحصول الجديد واضطر أصحاب الغلال المخزونة إلى بيعها خوفاً من السوس، فباعوها بالسعر اليسير وندموا على ما فاتهم من البيع

(الخليفة الحافظ لدين الله)

وقد وقع قحط شديد في أيام الحافظ لدين الله ووزارة الأفضل بن وحشة، ولكن تصرف الأفضل بسرعة وركب إلى الجامع العتيق بمصر وأحضر كل من له علاقة بالغلة وأدب جماعة من المحتكرين ومن يزيد الأسعار، وحدد لهم القيام بما يحتاج إليه الناس في كل يوم وباشر الأمر بنفسه وأخذ فيه بالحد، فسار الأمر إلى الأحسن ووصل الخبز إلى الناس حتى من لله تعالى بالرخاء

(الخليفة الفائز)

وقد بلغ الأردب من القمح في أيام الخليفة الفائز ووزارة الصالح طلائع بن رزيك خمسة دنانير لقصور ماء النيل، وكان "بالأهراء"[1] من الغلات ما لا يحصى فأخرج الكثير ووزعها على الطحانين ورخص سعرها ومنع احتكارها وأمر الناس ببيع الموجود منها وتصدق على "المتجملين"[2]، بالكثير وكذلك تصدق سيف الدين حسين[3]، وغيره من الأمراء وأرباب الوجاهة[4]، بالقصر مما نفس على الناس ولم يستمر الحال في ذلك سوى مدة يسيرة حتى فرج الله وعم الرخاء.

(الدولة الأيوبية)

[1] الأهراء الأماكن التي تخزن بها الغلال الخاصة بالخليفة
[2] المتجملون الفقراء الذين لا يظهرون المسكنة والذل
[3] هو ابن أخو الوزير طائع بن زريك
[4] الوجاهة أهل اليسر والغنى

في عام سنة ست وتسعين وخمسمائة، أيام الدولة الأيوبية وسلطنة العادل أبي بكر بن أيوب حل الغلاء وكان سببه نقص النيل وقصوره، فخرج الناس من القرى إلى القاهرة من الجوع ثم دخل فصل الربيع فهب هواء أعقبه وباء وفناء وانعدم القوت حتى وصل الأمر أن أكل الناس صغار بني آدم من الجوع

* مشاهد المجاعات *

كان الأب يأكل ابنه مشوياً أو مطبوخاً والمرأة تأكل ولدها، وقد تم عقاب جماعة على ذلك ولكن فشا الأمر وأعيا الحكام فيكتشف بين ثياب الرجل أو المرأة كتف صغير أو فخذه أو شيء من لحم الإنسان، وكان إذا دخل بعضهم إلى جاره فيجد القدر على النار فينتظرها حتى تهيأ فإذا هي لحم طفل، وكان أكثر ما يوجد ذلك في بيوت الأكابر، ثم انتشر الأمر في الأسواق وكثر لحم الأطفال بالأسواق والطرقات مع الرجال والنساء، وفي أقل من شهرين غرق أكثر من ثلاثين امرأة انتحاراً، وتزايد الأمر حتى ألف الناس أكل لحوم بني آدم وقل منعهم منه لعدم وجود ما يسد حاجاتهم من جميع الحبوب والخضروات وكل ما تنبته الأرض، ثم كان في آخر الربيع احترق ماء النيل في برمودة حتى صار المقياس في بر مصر وانحسر الماء عنه إلى بر الجزيرة وتغير طعم الماء وريحه وقد فنى أهل القرى، حتى أن القرية التي كان بها خمسمائة لا يبقى فيها غير اثنين أو ثلاثة واختفت الأبقار حتى بيع الرأس الواحد بسبعين دينار والهزيل بستين دينار وجافت[1] الطرق كلها بمصر والقاهرة وجميع دروب الأقاليم من كثرة الموت وكل ما زرع على قلته أكلته الدود وعملت الأفران من أخشاب البيوت حتى كان جماعة من أهل الليل يخرجون في الليل ويحتطبون من المساكن الخالية، فإذا أصبحوا باعوها وخلت المساكن بالقاهرة ومصر من الناس ولا يرى من الدور

[1] جافت: أنتنت

المسكونة إلا القليل، وكان الرجل في ريف مصر يموت وفي يده المحراث فيخرج آخر للحرث فيصيبه ما أصاب الأول واستمر الحال ثلاث سنين متوالية حتى بلغ أردب القمح ثمانية دنانير، فأمر العادل بإطلاق شيء من الغلال وقسم الفقراء على أرباب الأموال، وكان نصيبه من الفقراء اثني عشر ألف جعلهم في مناخ القصر[1]، وكان الواحد من الفقراء إذا امتلأت بطنه بالطعام بعد الجوع الشديد سقط ميتاً ودفن الكثير منهم حتى أن العادل قام في مدة بسيطة بدفن مائتي ألف وعشرين ألف ميت، وكان الناس يقولون أنها سنين كسنين يوسف عليه السلام.

ثم فاض النيل وبدأ الرخاء يزحف وجاءت محاصيل العام الجديد وأصبح كل من كان عنده غلال في خزانته اعتراها السوس، ولم ينتفع بها لشدة تسوسها ومات بعض أصحابها حزناً وكمداً.

[1] المناخ: في الأصل المكان المخصص لأنواع الجمال السلطانية وهنا بمعنى مخزن الغلال كالأهراء

(غزو المجاعات)

***برقه ***

حدث في برقه في سنة ست وتسعين وستمائة، أن البلاد لم تمطر فقحطت بلادها وجفت أعين المياه وعم الجوع أهلها وهنا رحل الكثير أكثر من ثلاثين ألف نفس بعيالهم وأنعامهم؛ يريدون مصر فهلك بعضهم جوعاً وعطشاً ووصل اليسير منهم في جهد وقلة.

*** بلاد الشام ***

في عهد السلطان كتبغ قد تأخر في الشام الوسمي[1] حتى فات أوان الزرع فاستسقوا ثلاثاً، فلم يسقوا ثم اجتمع الناس كافة وخرجوا للاستسقاء وضجوا وابتهلوا إلى الله سبحانه وتعالى فأغاثهم وسقاهم حتى رجعوا وفي البلد المياه.

*** بلاد المقدس والساحل***

تأخر المطر حتى فات أوان الزرع وجفت الآبار ونضبت المياه بعين سلوان[2] بالقدس

[1] الوسمي مطر الخريف ومن معانيه أيضاً محصول الذرة

[2] تقع عين سلوان بوادي جهنم بالقدس جنوبي دائرة الحرم تعرف بالمباركة

*** مكة ***

أصابها القحط فبلغ أردب القمح بها إلى تسعمائة درهم، والشعير إلى سبعمائة، فرحل أهلها حتى لم يبق بها إلا اليسير من الناس ونزحت سكان قرى الحجاز.

*** اليمن ***

اشتد الوباء وقل القوت فباعوا أولادهم لشراء الطعام وفروا نحو حلي[1] بني يعقوب فالتقوا بأهل مكة وضاقت بهم البلاد وسيطر الجوع عليهم ومات الكثير حتى لم يبق إلا طائفة قليلة

(مصائب قوم عند قوم فوائد)

نتيجة للمرض وكثرة الموت وشدة الإعياء من الناس طلب الأطباء وبذلت الأموال لهم وكثر تحصيلهم فكان كسب الواحد منهم في اليوم مائة درهم، كذلك طلبت الأدوية للمرضى فباع عطار برأس حارة الديلم بالقاهرة في شهر واحد بمبلغ اثنين وثلاثين ألف درهم وأيضاً بيع من دكان يعرف بالشريف عطوف من سوق السيوفين مثل ذلك، وحانوت الوزيرية وآخر خارج باب زويلة كانت مبيعاتهم أمثال الأول

[1] إحدى قرى دمشق بالشام

ولقد كان للأمير فخر الدين الطنبغا المساحي من جملة زرعه مائة فدان فولاً لم يمنع أحد من الأكل منها في موضع الحقول نفسها وكان الشرط الوحيد هو أن لا يحمل من الزرع شيئًا حتى إذا جاء أوان الدرس ولم يرض أحد بأمر الأمير أن يخرج لجمع محصوله ودرسه، حتى خرج الأمير نفسه وكانت المفاجأة فإذا بتل عظيم من قشر الفول فأمر أن يدرس لينتفع الناس بتبنه، فإذ يخرج منه بعد الدرس سبعمائة وستين أردباً فحمد الله وعد ذلك من بركة الصدقة وفائدة أعمال الخير والبر وكثرت أرباح التجار والباعة وازدادت فوائدهم وكذلك أرباب الصناعات وأصيب جماعة كثرة ممن ربح في الغلاء أما في نفسه بآفة من الآفات أو بإتلاف ماله حتى كان لبعضهم ستمائة أردب بيعت بسعر مائة وخمسين للأردب، فلما ارتفع السعر عما باع به ندم على بيعه الأول، ثم جاءت الحادثة الغريبة وهي أن رجلاً من اهل الفلح بحبة عسال خرج بثور[1] له ليرد الماء؛ فإذا كثير من الفلاحين قد وردوا إلى الماء، فقدم الثور حتى يشرب وإذا اكتفي الثور نطق بلسان فصيح أمسع من في المورد وقال:

الحمد لله والشكر له، إن الله تعالى وعد هذه الأمة سبع سنين مجدبة فشفع لهم النبي صلى الله عليه وسلم وأن الرسول أمره أن يبلغ ذلك وأنه قال:

يا رسول الله فما علامة صدقي عندهم، قال أن تموت بعد تبليغ الرسالة وأنه بعد فراغ كلامه صعد إلى مكان مرتفع وسقط منه ومات ووصلت

[1] الثور ذكرها المقريزي لتوضح مدى الاهتزاز الذي أصاب فكر الناس رواية حتى في عقيدتهم

مكاتبة إلى أهل القرية وجاؤوا من كل صب ينسلون، فأخذوا شعره وعظامه للتبرك، فإذا بخروا موعوكاً برِئَ، وعمل بذلك محضر مثبوت على قاضي البلد وحمل إلى السلطان وشاع ذكره.

* أسباب المحن *

إن الغلاء والمحن والمجاعات التي وقعت بالخلق منذ كانت الخليقة إنما تحدث من آفات سماوية في غالب الأمر كقصور النيل بمصر وعدم نزول المطر بالشام والعراق والحجاز وغيره أو آفة تصيب ما تثمره الأرض من سمائم تحرقها أو رياح تهفها أو جراد يأكلها

وهذه عادة الله تعالى في الخلق إذا خالفوا أمره وأتو محارمه أن تصيبهم بذلك جزاء ما كسبت أيديهم، ولذكر ما كسبت أيديهم وأصل الفساد هو ولاية الخطط السلطانية والمناصب الدينية بالرشوة كالوزارة ونيابة الأقاليم والقضاة وولاية الحسبة، بحيث لا يمكن التوصل إلى شيء منها إلا بالمال، فتتخطى بذلك كل جاهل ومفسد وظالم وباغ إلى ما لا يكن يؤهله إلى الأعمال الجليلة والولايات العظيمة وكان الهم الأكبر والهدف الأوحد هو تعويض ما تم صرفه من رشاوٍ لوزارات السلطان بأخذه بدون وجه حق من الرعية ومن الناس بكافة أنواعها من زرع وعمال وغيرهم ممن يشكلون التركيبة الاجتماعية في ثبات واستقرار المجتمع، وهنا حدثت الخلافات وبدأت الحياة تختل وكان أول ظهور لهذا الاختلال انتشار اللصوص

والمحتالين وقطاع الطرق، فخيفت السبل وتعذر الوصول إلى البلاد إلا بمواجهة الخطر الكبير وازدياد غباوة أهل الدولة وأعراضهم عن مصالح العباد وانهمكوا في الملذات وصدق قول الله عز وجل: "وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مطرفيها ففسقوا فيها فحق عليهم القول فدمرناها تدميراً"

* غلاء الاطيان *

وذلك لأن قوماً ترقوا في خدمة الأمراء يتوددون إليهم بما جبوا من الأموال، إلا أن استولوا على أحوالهم فأحبوا المزيد من القربة\ منهم ولا سبيل إلا بالأموال فتعدوا على أطيان الأمراء وأحضروا مستأجريها من الفلاحين وزادوا من مقادير الأجر وأصبحت عادة كل عام حتى بلغ الفدان عشرة أمثاله قبل الغلاء ومنعت الأرض زكاتها ولم تؤت ما عهد من اكلها، وكانت معظم الغلال لأهل الدولة وأرباب السيوف فخربت معظم القرى وتعطلت أكثر الأراضي الزراعية

* لعبة النقود *

كان التعامل يتم بالذهب وكانت من المبيعات محقرات تقل أن تباع بدرهم أو جزء منه، لذلك احتاج الناس من أجل ذلك إلى شيء سوى النقود الذهبية والفضية يكون لتلك المحقرات واختلفت مذاهب البشر وآراؤهم فيما يجعلونه بإزاء لتلك المحقرات فلم يزل ملوك الشام ومصر وعراق العرب

والعجم وفارس والروم لشدة بأسهم وعظمتهم يجعلن بإزاء هذه المحقرات نحاسًا يضربون اليسير منه قطعاً صغارًا تسميها العرب فلوساً[1]، لشراء تلك المحقرات، ولا يكاد يوجد من الفلوس إلا النز اليسير مع أنها لم تقم أبداً في هذه البلاد منزلة أحد النقدين قط من الذهب والفضة، ثم عظم رواج الفلوس وكثرت كثرة بالغة حتى صارت المبيعات وقيم الأعمال كلها تنسب إلى الفلوس خاصة حتى بلغ مثقال الذهب إلى مائة وخمسين من الفلوس وكل زنة درهم من الفضة بخمسة دراهم من الفلوس التي كل درهم منها يعد أربعة وعشرين فلساً وبلغ مثقال الذهب بثغر الإسكندرية بثلاثمائة درهم فلوس فدهي الناس بسبب ذلك داهية أذهبت المال وتعذر وجود المطلوب لاختلاف النقود

* النقود وأحوال الناس *

انقسمت أحوال الناس إلى سبعة أقسام، القسم الأول أهل المدينة والقسم الثاني أهل اليسار من التجار وأولى النعمة من ذوي الرفاهية والقسم الثالث الباعة هم متوسطو الحال من التجار ويعادلهم أصحاب البر ويلحق بهم أصحاب المعايش وهم السوقة والقسم الرابع أهل الفلح وهم أهل الزراعات

[1] *فلوساً: لفظ الفلوس (المفرد فلس) يوناني معرب ومعناه كيس النقود ويقال مثل ذلك بصدد لفظ الدراهم الفارسية والدينار اللاتيني

والحرث سكان القرى والريف والقسم الخامس الفقراء وهم جل الفقهاء وطلاب العلم والكثير من الجند والعسكر ونحوهم والقسم السادس أرباب الصنائع والإجراء أصحاب المهن والقسم السابع ذو الحاجة والمسكنة، وهم الذين يتكففون الناس ويعيشون منهم

(القسم الأول)

وهم أهل الدولة، فما لهم من المحن من نصيب فإن الأموال كثرت بأيديهم بالنسبة لما كانت قبل هذه المحن باعتبار ما يتحصل لهم من خراج الأراضي فإن الأراضي التي مبلغ إخراجها من قبل الحوادث مثلاً:

عشرين ألف درهم، صار الآن إخراجها مائة ألف درهم وهذا الأمر ليس بصحيح بل قلت أموالهم بالنسبة إلى ما كانت عليه أموال أمثالهم من قبل وبيان ذلك:

إن العشرين ألف درهم فيما سلف كان مالكها ينفق منها فيما أحب واختار ويدخر بعد ذلك ما شاء الله لأنها كانت دراهم وهي بقيمة ألف مثقال من الذهب

أما في حالة الغلاء إنما يأتيه بدل تلك المائة ألف درهم فلوس وهي بقيمة ستمائة وستين مثقال من الذهب ينفق ذلك فيما يحتاج في اليوم من لحم وخضر وتوابل وزيت ونحوه وفيما لابد منه من كسوة له ولمن يتكفل به وما تدعوا الحاجة من خيل وسلاح وغيره مما كان يشتريه قبل المحنة والغلاء بعشرة آلاف من الفضة

(القسم الثاني)

وهم مياسير التجار وأولو النعمة والترف، فالتاجر إذا ربح مثلاً ثلاثة آلاف درهم في بضاعته وفي مقابلها فلوس أو عشرين مثقال من الذهب ويحتاج في صرفها إلى ما لا غنى عنه من مؤونة عياله وكسوتهم فهو لو تأمل وضح له الأمر إنه لما كان يستفيد في مثل هذه المشتريات له من ألف درهم، فإنها تغنى عنه كلفته ما تغنى عنه في هذه الثلاثة آلاف درهم من الفلوس

(القسم الثالث)

أصحاب البر وأسباب المعايش، فإنهم في هذه المحن وهذا الغلاء يعيشون مما يتحصل لهم من الربح فالواحد منهم لا يقنع من الفوائد إلا بالكثير جداً وهو يعيش ساعات يومه ينفق ما اكتسبه فيما لابد من الكلف وحسبه الا يستدين لبقية حياته ويقنع

(القسم الرابع)

أصحاب الفلاحة والحرث فمعظمهم هلك من شدة السنين والغلاء وتوالى المحن بقلة ري الأراضي وفيهم من أثرى وهم الذين ارتوت اراضيهم في أيام المحن فنالوا من زراعتها أموالاً كثيرة عاشوا بها هذه الأزمة

(القسم الخامس)

وهم أكثر الفقهاء وطلاب العلم وكثير من الأجناد والعسكر فيهم ما بين ميت أو مشتهي الموت لكثرة ما حل بهم من سوء، فإن أحدهم إذا حصل على مائة درهم فإن ما يأخذ عنها فلوساً فينفق ذلك فيما كان ينفق من قبل عشرين درهما من الفضة ولذلك ساءت أحوالهم

(القسم السادس)

أرباب المهن والإجراء والحمالون والخدم والسواس والحاكة والبناة والفعلة ونحوهم، فإن أجورهم تضاعفت تضاعف كبيراً ولكن كانوا قلة لموت أكثرهم في المحن والغلاء وإذا طلب أحدهم لا يتوافر إلا بعد عناء ومشقة

(القسم السابع)

هم أهل الخصاصة والمسكنة فقد فني معظمهم جوعًا وبردًا ولم يبق منهم إلا قليل

وهكذا كانت " الفلوس" من أهم أسباب الفاقة مع الذلة وذهاب بهجة الدنيا وزوال زينتها حتى أصبحت كالبدعة والمحدثة وبلية، ابتداؤها لا أصل بها ولا ملة أو دين ولا يأنسها أحد من البشر

فكانت الفلوس في إقليم مصر هي النقد ويجعلونها عوضاً عن المبيعات كلها ويأخذونها في خراج الأراضي وعشور أموال التجار، وتعتبر قيماً عن الأعمال كبيرها وصغيرها لا نقد سواها ولا مال إياها حتى أصبح كل قنطار منها وهو مائة رطل مصرية بستمائة درهم نقدا حسابًا عن كل رطل وهو

وزنه مائة وأربعة وأربعين درهما وزناً ستة دراهم نقداً أما بالقاهرة فإن الذهب كل مثقال منه إلى مائة وخمسين درهما فلوساً وفي الإسكندرية كل مثقال إلى ثلاثمائة فلوساً وبلغت دراهم المعاملات كل زنة درهم منها خمسة دراهم فلوساً، والأردب من القمح إلى أربعمائة وخمسة فلوساً، غير كلفة الأردب من سمسرة عشرة دراهم والحمولة سبعة دراهم والغربلة ثلاث دراهم وأجرة الطحن ثلاثون درهما وبلغ أردب الفول والشعير أكثر من ثلاثمائة درهم وأردب البسلة ثمانمائة درهم والحمص خمسمائة درهم والرأس الواحد من البقر بمائة مثقال من الذهب بقيمة خمسة عشرة ألف درهم من الفلوس ورطل اللحم البقري سبعة دراهم فلوسا ورطل الضأن بخمسة عشرة درهما والدجاجة مائة درهم بقيمة عشرين درهما فلوسا وبيع الجمل بسبعة آلاف فلوسا وقدح الأرز بخمسة عشر درهماً فلوساً وثمن البطيخة الواحدة بعشرين درهماً فلوسًا في أوان البطيخ ورطل العنب في أوانه بأربعة دراهم فلوساً والسكر كل رطل إلى سبعين درهماً فلوسًا وزيت الزيتون كل قنطار منه بخمسمائة وخمسين درهما فلوسا

* نظرات وعبر*

فمن نظر إلى أثمان المبيعات باعتبار الفضة والذهب لا يجد ها قد غلت إلا شيئا يسيرا، أما باعتبار مادي الناس من كثرة الفلوس أمر لا أشنع من ذكره ولا أفظع من هوله، فسدت به الأمور واختلت الأحوال وآل أمر الناس بسببه إلى العدم والزوال وأشرف من أجله الاقاليم على الدمار والاضمحلال لكن الله يفعل ما يشاء[1]، كما أن فساد الأمور إنما هو سوء التدبير لا غلاء الأسعار، فلو وفق الله من أسند إليه أمر عباده حتى رد المعاملات إلى ما كانت عليه من قبل من المعاملة بالذهب والفضة ورد قيم الأسعار والسلع وعرض الأعمال كلها إلى عملة الذهب أو ما حدث بعد ذلك من المعاملة بالفضة المضروبة ورد قيم الأعمال إلى الدراهم من الذهب والفضة لكان في ذلك ذهاب الأزمات وصلاح الأمور وتدارك الفساد وتم استرجاع المعاملة إلى ما كان عليه أولاً وصار من يأتيه مال من خراج أرض أو أجرة عقار أو من وقف أو قيمة عمل فإنما يتناول ذلك ذهباً وفضة بحسب ما يراه من يلي أمور وأحوال الناس لأن الأسعار حينئذ إذا نسبت إلى الذهب والفضة من دينار ودرهم لا يكاد يوجد فيها تفاوت عما كان العهد قبل المحن والغلاء ولا يوجد تفاوت إلا أشياء معدودة سبب غلائها أمرين:

فساد نظر من أسند إليه الأمر وجهله بسياسة الأمور وهو الأكثر في الغالب

[1] إغاثة الأمة بكشف الغمة للمقريزي

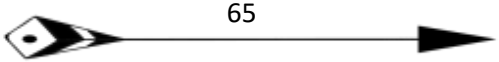

الأمر الثاني:

النوازل التي أصابت الأشياء حتى قلت كما حصل في لحوم الأبقار بالموت في عام ثمان وثمانمائة وما حصل في السكر من قلة زراعة القصب واعتصاره في سنتي سبع وثمان وثمانمائة، فإذاً ليس بالناس غلاء إنما نزل بهم لسوء تدبيرهم والبعد والانشغال عن حسم الأمور ابتداء من الولاة ومشاركة أكثر فئات الناس في الاستغلال والبعد عن الإسراع في اتخاذ التدابير الحياتية لحل ورفع هذا الغلاء وهذه المحن وذلك كما حدث مع القائد جوهر بعساكر الإمام المعز لدين الله الفاطمي عندما نظر في الأسعار وضرب جماعة من الطحانين وطيف بهم وجمعه لسماسرة الغلات وتنظيم عملية البيع وكما فعل مسعود الصقلي بالنظر في أمر الأسعار وسعر القمح وأمر الطحانين والخبازين بجمع الغلات وسعر الحبوب والمبيعات فسكن الناس بوجود الخبز وما حصل بخلافة المستنصر ووزارة الناصر لدين الله أبي محمد بن الحسن بن على بن عبد الرحمن البازوري عندما تنافس الصعلوك مع عريف الخبازين في سعر رطل الخبز والمضاربة في السعر حتى ثبت السعر بما يفيد الناس وسد حاجاتهم من الخبز، ثم يأتي استهزاء المرأة التي تكلفت في بيع عقدها بألف دينار لشراء غلة فنهبت منها حتى لم تجد غلة إلا ملأ كفيها وصنعت القرصة من الخبز وصعدت تستهزئ بالمستنصر وفي يدها القرصة وحديثها للعامة والمارة:

" يا أهل القاهرة ادعوا لمولانا المستنصر الذي أسعد الله الناس بأيامه وأعاد عليهم بركات حسن نظره حتى تقومت على هذه القرصة بألف دينار" فلما بلغ المستنصر ذلك تحرك في نفسه الكبرياء ولم يحركه شيء غير ذلك من أمر الرعية وأمره للوالي إن لم تظهر الغلال في الأسواق والطرقات لضرب عنقه، واحتيال الوالي وجمعه من عليهم حد القتل وألبسهم ثياب التجار، ثم جمعه تجار البلاد وتوعد لمن ألبسهم بالقتل ثم أمره بإقامة الحد عليهم الواحد تلو الآخر حتى خنث التجار وأخرجوا الغلال وأداروا الطواحين وعمروا الأسواق بالخبز ورخصوا الأسعار

وفي أيام الخليفة الآمر بإحكام الله ووزارة الأفضل وقيادة أبي عبد الله بن فاتق الملقب بالمأمون البطائحي أن يدبر الأمر بالنسبة للغلاء من الخبز والغلال وتصرفه السريع في تهديد التجار بغلق مخازنهم وما بها من غلال حتى حضر غلال العام التالي وبوار محاصيلهم أو بيعها بأسعار تناسب العامة والخاصة ويحل الغلاء ويعم الطعام

وفي أيام الفائز ووزارة الصالح طلائع بن رزيك أخرج الغلال إلى تخص الدولة ليدعم بها الأسواق ورخص الأسعار ومنع احتكارها وتصدق على الفقراء ثم تصدق الأمراء مثله أمثال "سيف الدين ابن أخو الوزير طائع بن رزيك، والواضح من هذه الأحوال أن حسم الأمور هو بوابة النجاح وكسر الغلاء وزوال المحن وما الحال إلا حلقات مترابطة منضبطة وتكمن قوتها

وتماسكها في الحسم وسرعة اتخاذ الحلول والأساليب لمعالجة ما يحل بالخلق من مصائب وشدائد

* الحكم الربانية في الكون *

الذهب والفضة:

إن لله عز وجل حكمة في عزة هذين النقدين، الذهب والفضة وقصور خبرة العالم عما حاولوا من صنعتها ومحاولة التشبه بخلق الله إياها مع شدة حرصهم وبلوغ أقصى جهد واجتهادهم في ذلك، فلم يظفروا بسوى الصنعة فقط، ولو مكنوا أن يصنعوا مثل ما خلق الله من ذلك من الذهب والفضة لفسد أمر العالم واستفاض الذهب والفضة في الناس حتى صار كالسعف والفخار وكانت تتعطل المصلحة التي وضعها الله عزوجل لأجلها، بل كانت كثرتها سبب تعطل الانتفاع بها، فإنه لا يبقى لها قيمة ويبطل كونها قيما لنفائس الأموال والمعاملات والأرزاق وكذلك لم يسخر بعض لبعض إذ يصير الكل أرباب ذهب وفضة فلو غنى خلقه كلهم لأفقرهم كلهم، فمن يرضى لنفسه بامتهانها في الصنائع التي لا قوام للعالم إلا بها فجاءت حكمته تعالى أن جعل عزتها سبباً لنظام العالم بل وضعها وانبتها في العالم بقدر اقتضته حكمته ورحمته ومصالح عباده، وكان في قلة هذين الجوهرين بالنسبة إلى الحديد والنحاس والرصاص حكمة من الله سبحانه وتعالى سببًا لصالح الناس

* سعة الأرض *

قد جعل الله الكون في سعة من الأرض وامتدادها ولولا ذلك لضاقت عن مساكن الأنس والحيوان وعن مزارعهم ومراعيهم ومنابت ثمارهم وأعشابهم وفيها مقرهم ومنزلهم كالمدن من مساكن وفيها مصيفهم ومشتاهم ثم فيها متسع ومتنفس للناس إذا احتاجوا إلى الانتقال والاستبدال بالأوطان، ولولا سعة الأرض وفسحها لكان أهلها كالمحصورين والمحبوسين فأماكنهم لا يجدون عنها انتقالاً

* الماء ووفرته *

لولا كثرة الماء ووفرته وتدفقه في الأودية والأنهار لضاق عن حاجة الناس إليه ولغلب القوى الضعيف فيحصل الضرر وتعظم البلية مع شدة حاجة جميع الحيوان إليه من الطير والوحوش والسباع فاقتضت حكمة الله إن كان بهذه الكثرة والوفرة والسعة في كل وقت، كم أن نزول المطر على الأرض من علو ليعم بسقيه تلولها وهادها وظرابها وأكامها ومنخفضها ومرتفعها، ثم إنزال المطر بقدر الحاجة فلو توالت الأمطار لأهلكت ما على الأرض ولو زادت على الحاجة أفسدت الحبوب والثمار وعفنت الزروع والخضروات وتقطعت المسالك والسبل

* إخراج الأقوات والثمار *

وقد اقتضت الحكمة في إخراج الأقوات والثمار والحبوب والفواكه متلاحقة شيئا بعد شيء ولم تخلق جملة واحدة فإن كل فصل وأوان يقتضي من الفواكه والنبات غير ما يقتضيه الفصل الآخر، فهذا حار وهذا بارد وهذا معتدل وكل في فصله موافق للمصلحة وكل ذلك إلا من صنع من شهدت له مصنوعاته ودلت عليه آياته كما قيل:

فوا عجبا كيف يعصى الإله وكيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكة وتسكينة أبداً شاهد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

* الأطعمة والحكم الربانية *

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب "، هذه الأترجة منافعها كثيرة فهي مركبة من أربعة أشياء قشر ولحم وحمض وبزر لكل واحد منها منفعة تخصه، فقشره يطيب النكهة إذا أمسكها في الفم، وإذا جعل في الطعام أعان على الهضم ولحمه ملطف للحرارة في المعدة، ويزيل الغم العارض وتسكن العطش مطيب للنكهة

ويذكر أحد الأكاسرة غضب على قوم من الأطباء فأمر بحبسهم وخيرهم في آدم "طعام" لا يزيد لهم عليه فاختاروا الأترج، فقيل لهم لم اخترتموه على

غيره؟ فقالوا لأنه في العاجل ريحان ومنظره مفرح وقشره طيب الرائحة ولحمه فاكهة وحمضه آدم وحبه ترياق وفيه دهن

روى أبو داود والترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأكل البطيخ بالرطب، يقول يدفع حر هذا برد هذا وهو بارد رطب وينبغي أكله قبل الطعام ويتبع به وإلا غثى وقيأ، وقال بعض الأطباء أنه قبل الطعام يغسل البطن غسلاً ويذهب الداء أصلًا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كلوا البلح بالتمر فإن الشيطان يحزن إذا رأى ابن آدم يأكله يقول عاش ابن آدم حتى أكل الجديد بالخلق "

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من تصبح بسبع تمرات وفي لفظ من تمر العالية لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر، وقال بيت لا تمر فيه جياع أهله " وقد أكل النبي صلى الله عليه وسلم التمر بالزبد وأكل التمر بالخبز وأكله مفرداً وهو مقو للكبد ملين للطبع يزيد الباه ولا سيما حب الصنوبر ويبرئ من خشونة الحلق ومن أكثر الثمار تغذية للبدن بما فيه من الجوهر الحار الرطب وأكله على الريق يقتل الدود وهو فاكهة وغذاء ودواء وشراب وحلوى

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام " والثريد مركب من خبز ولحم ، فالخبز أفضل الأقوات واللحم سيد الآدام، فإذا اجتمعا لم يكن بعدها غاية، وقد تنازع الناس أيهما أفضل، والصواب أن الحاجة إلى الخبز أكثر وأعم ، واللحم أجل

وأفضل وهو أشبه بجوهر البدن من كل ما عداه وهو طعام أهل الجنة قال تعالى: "عن طلب البقل والقثاء والفول والعدس والبصل ، (أتسبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير)

قال تعالى: " يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة "، فالزيت حار رطب وجميع اصنافه ملينة للبشرة وتبطئ الشيب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أحلت لكم ميتتان السمك والجراد والكبد والطحال " ونذكر هنا السمك فأصنافه كثيرة وأجوده ما لذ طعمه وطاب ريحه وكان رقيق القشر، ولم يكن صلب اللحم وهو يخصب ويزيد البدن والمني ويصلح الأفراج وأجود ما في السمك ما قرب من مؤخرها، وفي الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: " بعثنا النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثمائة راكب وأمرنا أبو عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه فأتينا الساحل وأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخبط " أعشاب البحر"، فألقى لنا البحر حوتاً يقال لها عنبر فأكلنا منه نصف شهر وانتدمنا بودكه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يقولن أحدكم للعنب الكرم، الكرم الرجل المسلم، وفي رواية إنما الكرم قلب المؤمن، وفي أخرى لا تقولوا الكروم وقولوا العنب والحبلة " فإن العرب كانت تسمى شجرة العنب الكرم

لكثرة منافعها وخيرها، فكرة النبي صلى الله عليه وسلم تسميتها باسم يهيج النفوس على محبتها ومحبة ما يتخذ من مسكر منها وهو أم الخبائث فكرة أن يسمى أصله بأحسن الأسماء وأحبها للخير، وقد سمي قلب المؤمن بالكرم لما فيه من الخير والجود والإيمان والنور والهدى والتقوى والصفات التي يستحق بها هذا الاسم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنك تنظر للطير في الجنة فتشتهيه فيخر مشوياً بين يديك" والطير منه حلال ومنه حرام، فالحرام كل ذي مخلب كالصقر والبازي والشاهين وما يأكل الجيف كالنسر والرخم واللقلق والعقعق والغراب الأبقعي والأسود الكبير، ومنه ما نهى عن قتله كالهدهد والصرد وما أمر بقتله كالحدأة والغراب.

وقد روى عن حديث أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أكل لحم الدجاج

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: "وقد قام بين الكعبة وأستارها أربعين ما بين يوم وليلة ليس له طعام غير ماء زمزم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنها طعام طعم وزاد مسلم وشفاء سقم

وقد روى عن عبد الله بن المبارك إنه لما حج أتى زمزم فقال: "اللّٰهُمَّ إن ابن الموالي حدثنا عن محمد بن النكدر عن جابر رضي الله عنه عن نبيك صلى الله عليه وسلم انه قال " ماء زمزم لما شرب له، فإني أشربه لظمأ يوم القيامة"

فماء زمزم سيد المياه وأشرفها وأحبها وأجلها قدراً في النفوس وأعلاها ثمناً وأنفسها عند الناس وهو" هزة جبرائيل وسقيا إسماعيل "

* نصائح وحكم *

قال الحارث بن كلده طبيب العرب:

" استديموا الصحة بترك التكاسل عن التعب وبترك الامتلاء من الطعام والشراب ومن أراد الصحة فليجود الغذاء، وليأكل على نقاء، وليشرب على ظمأ، وليقلل من شرب الماء، ويتمدد بعد الغداء، ويتمشى بعد العشاء، ولا ينام حتى يعرض نفسه على الخلاء، وليحذر دخول الحمام عقب الامتلاء، ومرة في الصيف خير من عشرة في الشتاء، وأكل القديد اليابس بالليل معين على الفناء، ومجامعة العجائز تهرم أعمار الأحياء، وتسقم أبدان الأصحاء، ومن سره البقاء ولا بقاء فليباكر الغذاء وليعجل العشاء وليخفف الرداء وليقل غشيان النساء وعند احتضاره اجتمع إليه الناس فقالوا: مرنا بأمر ننتهي إليه من بعدك، فقال: لا تتزوجوا من النساء إلا شابة ولا تأكلوا من الفاكهة إلا أن آن نضجها ولا ليعالجن أحدكم ما احتمل بدنه الداء، وعليكم تنظيف المعدة في كل شهر فإنها مذيبة للبلغم مهلكة للمرة منبتة للحم وإذا تغدى أحدكم فليتم على أثر غدائه ساعة وإذا تعشى فليمشي أربعين خطوة.

وقال ملك لطبيبه: لعلك لا تبقى لي فصف لي صفة آخذها عنك فقال: "لا تنكح إلا شابة، ولا تأكل اللحم إلا فتياً ولا تشرب الدواء إلا من علة ولا تأكل الفاكهة إلا في نضجها، وأجد مضغ الطعام وإذا أكلت نهاراً فلا بأس أن تنام وإذا أكلت ليلاً فلا تنم حتى تمشي ولو خمسين خطوة، ولا تأكلن حتى تجوع، ولا تتكارهن على الجماع، ولا تحبس البول، وخذ من الحمام قبل أن يأخذ منك، ولا تأكل طعاماً وفي معدتك طعام، وإياك أن تأكل ما تعجز أسنانك عن مضغة، فتعجز معدتك عن هضمه، وعليك في كل أسبوع بقينة تنقي جسدك، ونعم الكنز الدم في جسدك، فلا تخرجه إلا عند الحاجة إليه

قال الشافعي رحمه الله:

أربعة تقوي البدن، أكل اللحم وشم الطيب، وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان، وأربعة توهن البدن، كثرة الجماع وكثرة الهم وكثرة شرب الماء على الريق، وكثرة أكل الحامض، وأربعة تقوي البصر، الجلوس تجاه الكعبة والكحل عند النوم، والنظر إلى الخضرة وتنظيف المجلس، وأربعة توهن البصر، النظر إلى القذر وإلى المصلوب وإلى فرج المرأة والقعود مستدبر القبلة، وأربعة تزيد الجماع أكل العصافير والفستق والخروب والأطرفييل، وأربعة تزيد العقل ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسة الصالحين والعلماء.

قال أفلاطون:

خمس يذبن البدن وربما قتلن

قصر ذات اليد وفراق الأحبة وتجرع المغايظ ورد النصح وضحك ذوي الجهل بالعقلاء.

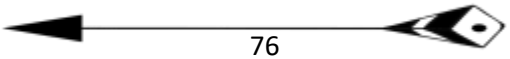

* خاتمة *

لا شك أن جميع الخلائق تعرف أن الفساد في جميع مناحي الحياة بل في الكون كله وأحوال أهله، جاءت بعد خلقه بأسباب اقتضت حدوثه ولم تزل أعمال بني آدم ومخالفتهم للرسل تحدث لهم الفساد العام والخاص

وهنا تحدث الأمراض والطواعين والقحط والجدب وسلب بركات الارض وثمارها وبناتها وكذلك سلب منافعها أو نقصانها، قال تعالى:

" ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس" وكل ما أحدث الناس ظلما وفجورا أحدث لهم ربهم تبارك وتعالى من الآفات والعلل في أغذيتهم وأهويتهم ومياههم وأبدانهم وخلقهم وصورهم وأشكالهم، كما تبدلت أخلاقهم

فقد جعل الله سبحانه وتعالى أعمال البر والفاجر مقتضيات لآثارها في العالم اقتضاء لابد منه، فجعل منع الإحسان والزكاة والصدقة سببا لمنع الغيث من السماء

والقحط والجدب وظلم المساكين والبخس في المكاييل والموازين وتعدى القوى الضعيف سببا لجور الملوك والولاة الذين لا يرحمون إن استرحموا ولا يعطفون إن استعطفوا وهم في الحقيقة أعمال الرعايا ظهرت في صور الولاة

وبعد، فإن الإسلام قد جاء لمعالجة مشاكل الإنسان على اختلاف الألوان والأجناس وعلى مستوى رعاية المقامات والأحوال حيث أنه دين الله العالم بكل الدقائق المطلع على خفايا الأمور الواهب لأنعم الكون

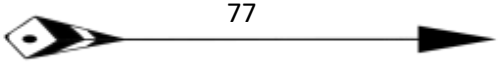

((((رحلات ابن عزام))))

" الخيار شمشوم "

القلم الصحفي ينبض ويتحرك ويكشف المستور وصدق القول " إن القلم لأشد قوة من الصاروخ" 0

ولكن مازالت مؤامرات ضد هذه القوة تحاك وتنفذ، ولا عجب إن عدو هذا القلم ليس بمجتمعنا العربي فقط ، ولكن على مستوى العالم باختلاف صوره 0

ورحلتنا في كتاب " الخيار شمشوم " للصحفي الأمريكي " سيمور هيرش"، صاحب المؤلفات الوثائقية ذات المصداقية، فكانت إصابته مباشرة وسر نجاح هذا المؤلف هو مخاطبته للمجتمع العالمي ومشاكله وأسراره

ونحن هنا نتعرض في كتابه لما يخص مجتمعنا العربي لتواصل أحداث هذا الكتاب للغد بل للأعوام القادمة

وآخر هذه الأحداث كانت بالأمس القريب وهي اغتيال رفيق الحريري، وتضارب الأقوال بمن وراء هذا الاغتيال

وللإجابة عن هذا السؤال، نجدها في رحلتنا، العالم الفيزياء المصري " يحي المشد" المسؤول الأول عن كامل مشروع المفاعل الذري العراقي، والذي حير

الموساد الإسرائيلي في طريقة الحصول عليه والتعامل معه أو القتل، وهو الخيار الذي واجهه بشجاعة في باريس خلال مأموريته لاستكمال المفاعل العراقي، وعزمه بالسفر هو وأسرته في إجازة إلى القاهرة، ولا يعلم أن مراسم قتله قد أعدت، وأهم مراسمها مكالمة تليفونية من مصنع مارسيل الذري بفرنسا بأهمية تواجده لعدة أيام ويدق باب حجرته بالفندق ويفتح الباب فتحة صغيرة ويطل وجه "يهودا غل " ضابط الموساد " متحدثا بالعربية بحضوره لدفع نقود كثيرة للحصول على أجوبة، يصفع الباب في وجهه بعبارة " اذهب عني أيها الكلب" وتمر الساعات ويغط المشد في نوم عميق ويذبح بأوامر رئيس وزراء إسرائيل ويشطب من قائمة الإعدام

وما زالت القائمة تضم الكثير من أهمها مأساة عالم الذرة " سعيد السيد بدير " ابن الفنان سيد بدير، الكاشف دكتوراه في فك شفرات الأقمار الاصطناعية وسفن الفضاء ، ونجاحه في الحصول على نتائج بحثية لن يصل إليها الألمان قبل عشرات السنين ، تعرض لمحاولات للعمل بجهات اوروبية معينة ، وكان الرفض ، ثم أساليب الارهاب والضغط، وكان القرار العودة إلى مصر ، وتأتي آخر محاولة لمنعه من السفر من المخابرات الألمانية على درجات سلم الطائرة المصرية ، ويأتي الرد من قائد الطائرة " بأنه على أرض مصرية " ولكن لن تنتهي المطاردة بل جاءت إلى مصر " الاسكندرية " وأتمت ما تم الاتفاق عليه ، بتصفية هذه العقلية المصرية حفاظا على نظام التجسس الفضائي، وكان النصيب الأكبر لتنفيذ العملية والمستفيد الأول من وراء

التصفية " إسرائيل " ، ويشطب من قائمة الإعدام وباعتماد رئيس وزارة إسرائيل

وهكذا نجد أوروبا وعلى رأسها فرنسا وألمانيا في توحد كامل وصادق مع إسرائيل على عدم وصول المجتمع العربي والإسلامي لأي تقدم استراتيجي يؤدي بالتالي على وجود قوة فاعلة وقادرة على المواجهة أو حتى الدفاع عن مصالحها القومية

" هذا الدين "

إن البشرية جاءت على هذا الكون لتعمره وترتقي بمكوناته جميعها وفي حدود لا تتعداها، ولهذا قد بعث الله تعالى الأنبياء والرسل لجعل هذه المنظومة الحياتية في إطارها الصحيح مع استقامة أحواله في شتى مجالاته وتعدد مصالحه

ونحن هنا في رحلة في كتاب (هذا الدين) للكاتب سيد قطب ، ليفك أول شفرات ورموز هذا الدين للبشرية يتم تحقيقه في حياة البشر ، ولكن يأتي أول تحفظ وهو بجهد البشر انفسهم ، وفي حدود الطاقة التي وهبها الله تعالى مرسل هذا الدين إليهم ، كما يبدأ العمل من النقطة التي يكون عليها البشر غير منتظرين من هذا الدين مادام منزلا من عند الله ان يعمل في حياة البشر بطريقة سحرية خارقة غامضة الأسباب ، وهذا هو أهم الاسباب لفتح أبواب عدم الثقة في هذا الدين أو الشك في الدين إطلاقا ، ولقد كان هذا الدرس للمجتمع المسلم في مشاهد غزوة "احد" لا بالكلام ولا بالعتاب ، ولكن جاء بالدماء والآلام ،وكان الثمن باهظا، هزيمة بعد نصر، وخسارة بعد غنائم، وجراح لم تكد تدع معافى، وشهداء كرام، وعلى رأسهم " حمزة سيد الشهداء" رضي الله عنه ، وكان مصيبة هذا الأمر جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشج وجه الكريم ، وكسر رباعيته ووقوعه في الحفرة التي حفرها "أبو عمر الفاسق"، حليف قريش ، ويترس "

أبو دجانة " بظهره حاميا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليصد عنه نبل المشركين ، والنبل يغرس في ظهره فلا يتحرك ،تأتي هذه ليستقر في حسهم أن ما أصابهم، كان بسبب تقصيرهم في تمثيل حقيقة الإيمان كاملة في تصرفاتهم في الغزوة ، وينزل قول الحق بالمعادلة القرآنية "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا" ، وأنه يغير حال الناس حين يغيرون ما بأنفسهم وأنه لا يغير ما بهم حتى يغيروا ما بأنفسهم

ولهذا كانت أول خطوات النبي صلى الله عليه وسلم، هي الالتفاف حول معبود واحد بيده مقاليد الأمور كلها حيث كانت هناك سبل كثيرة حاضرة،كان هناك عبيد وأسياد لقيام ثورة تحرير العبيد على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل " مارتن لوثر كنج" ، وكانت هناك أحوال اجتماعية تمتلك اهل الجزيرة العربية من زنا وخمر ،وميسر وفقراء وأغنياء وسطوة ، والاغارة الدائمة بين العشائر والقتال على المياه ومواردها ، كل هذه الأمور كانت من سبل النجاح لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم ليسيطر ويسود ، ولكنه جاء للإعلان عن إنسانية واحدة ترجع إلى أصل واحد وتتجه إلى إله واحد وأن اختلاف الاجناس والألوان والأرض والمكان كل أولئك لم يكن للتفرقة والاختصام وكذلك الانعزال ولكن ليتعارفوا ويتآلفوا وتنتشر بينهم المهمات في الارض

ونختم رحلتنا بحادثة ابن القبطي الذي سابق ابن عمر بن العاص رضي الله عنه ، حاكم مصر ، فسبقه ، وما حدث من الضرب ، وهنا ظهرت المقارنة

بماضٍ روماني لغته السياط وذلها، وما أطلقه هذا الدين من جعل الإنسان حراً كريماً ليسافر من مصر إلى المدينة لا طائرة ولا سيارة ولا باخرة ولا قطار، ولكن جملاً ليسافر شهور ليقدم شكواه إلى الخليفة واثقاً بأن هذا الدين وهؤلاء الرجال إنما جاؤوا من أجل إنسانية وكرامة الإنسان، دون تفرقة بين جنس ولون وانطلاقاً في جميع مناحي الحياة من هذا الدين

" الشيعة والسنة "

مصر المنارة الإسلامية بأزهرها ومكانتها كدرع يحمى العقيدة ويبقى شعبها سداً منيعاً أمام الغزوات الفكرية وتوحده على مذهب أهل السنة والجماعة ولتبقى مصر حرة رائدة في وحدة المسلمين من هذا "النمل الأبيض" الذي أراد أن يهدم هذا الدين وباسم الدين "الشيعة" النقطة السوداء على ثوب العالم الإسلامي

ورحلتنا هي كتاب "الشيعة والسنة" للأستاذ العلامة إحسان إلهي نظير، رئيس تحرير مجلة ترجمان الحديثة بلاهور

يبدأ كتابه بإظهار المحاولات التي تمت من الشيعة بنشر الكتب الملفقة ودعوتها إلى التقريب بين الشيعة والسنة من أجل وحدة العالم الإسلامي، وهدفهم الأساسي هو تقريب السنة إلى مذهبهم، بدعوة الوحدة والاتحاد، مرددين قول الله عز وجل " ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم " ، وهذا محال فلن يكون هناك اتفاق ووحدة دون التوبة من العقائد اليهودية والوثنية والمجوسية، فالتاريخ مليء بالأحداث والمواقف الثابتة لهدم هذا الدين والتجريح في رجاله وعقيدتهم في الله ورسوله ، وهذه الشيعة ما هي إلا لعبة يهودية جاهلة بالإسلام وحاقدة على المسلمين، وزعيمها " عبد الله بن سبأ اليهودي والذي أراد مزاحمة هذا الدين بالنفاق والتظاهر بالإسلام، وهذا لعدم قدرته بالمحاربة وجهاً لوجهٍ، ولا الوقوف في سبيله جيشاً بجيشٍ

وظهور عداوته مع يهود صنعاء في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، بفكر التشيع والحب والولاء لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ونشر الفتنة والفساد بالتحريض على ذي النورين والترويج بعقائده في عقائد الإسلام من أصلها وأصولها باسم التشيع، وكان ابن سبأ أول من شهر بالقول بفرض إمامة علي رضي الله عنه وأظهر البراءة من أعدائه وتكفيرهم، ثم يتلون مرة أخرى ويتهم عليا بالغلو في الدين، كما قال على يوشع بن نون وصى موسى عليه السلام بالغلو، وقد اعتمد المؤلف على نصوص من المصادر المعتمدة التي لا يكذبها أهلها قديمة أو حديثة ومؤلفوها لا ينكرهم أحد مقبولون ومتبعون عند جمهور الشيعة، يبث ابن سبأ السم الزعاف تحت مسمى التشيع لعلي رضي الله عنه، وقتال المسلمين بعضهم بعضا واستشهاد عثمان ابن عفان رضي الله عنه، وكان الشقاق بين فئتين عظيمتين من المسلمين وموت عشرات الألاف من خيرة الرجال واصبح كل من لا يبغض خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بشيعي، فهذا الكشي العالم الكبير في الجرح والتعديل يذكر عقيدة الشيعة في الصديق رضي الله عنه ، بحادثة مفتراه بين محمد بن الصديق يبايع عليا " أشهدك أنك إمام مفترض طاعتك وأن أبي في النار" معاذ الله، ثم حادثة أخرى عن أبي جعفر أن محمد بن الصديق بايع عليا على البراءة من أبيه، وهذا هو رجل الإسلام وعبقريته عمر بن الخطاب رضي الله عنه وما ذكره الكشي " أن صهيباً عبد سوء يبكي عمر " ، ويأتي ابن بأبويه العالم القمي الشيعي يروي أن عمرًا حين حضرته

الوفاة قال " أتوب إلى الله من ثلاثة، اغتصابي هذا الأمر أنا وأبو بكر من دون الناس واستخلافه عليهم وتفضيل المسلمين بعضهم على بعض

وهكذا لم تقف الشيعة لهذا الحد بل يأتي العالم القمي على بن إبراهيم في تفسيره لقوله عز وجل " يوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً " إن أبي جعفر قال " أما والله كانوا ليعرفون ويعلمون ولكن كانوا إذا عرض عليهم شيء من الحرام أخذوه وإذاعرض لهم بشيء من فضل أمير المؤمنين على أنكروه " وقوله " يوم يعض الظالم على يديه قال أبو جعفر الأول أبا بكر يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول علياً ولياً يا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً يعني عمر الخليفة الثاني" فهذا خبث القوم وقبحهم ، كيف يسبون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغيرون أسماءهم ويطعنون فيهم ، وأنه لعذاب أن يرى أكابر صحابته يطعن فيهم ويسبون ويخرجونهم من حظيرة الإيمان بل وصل الأمر إن تطرقت الشيعة في أعراض النبي صلى الله عليه وسلم، فها هم يسبون عم النبي صلى الله عليه وسلم بما ذكره الكشي عن زين العابدين أنه قال لابن عباس أتعلم فيمن نزلت هذه الآية " فلبئس المولى ولبئس العشير " أهي في أبي أم في أبيك، ثم قال: لو أذن لي في القول لقلت: "ما لو سمع عامة هذا الخلق لجحدوه وانكروه " ، ثم يروى الملا باقر عن محمد الباقر أنه قال: " قال علي رضي الله عنه " ومن كان بقى من بني هاشم إنما كان جعفر وحمزة فقتلا وبقي معه (يقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم) رجلان ضعيفان ذليلان حديث

عهد بالإسلام " عباس وعقيل" رضي الله عنهما ، هذا ما قالوا في عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما ابنه عبد الله ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن رضي الله عنه، فقد ذكر رجال الكشي حادثة اتهام عبد الله بالخيانة فقالوا: "استعمل عليّ على البصرة عبد الله ابن عباس، فحمل كلَّ مال بيت المال بالبصرة ولحق بمكة وترك علياً، فلما علم علي بما فعل صعد المنبر وبكى وقال: " هذا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه في علمه وقدره يفعل مثل هذا فكيف يؤمن من كان دونه، اللّٰهُمَّ إني قد مللتهم فأرحني منهم واقبضني إليك غير عاجز ولا ملول "، ولم يكتف الكشي بهذه الحادثة المفتراة ولكنه بوب باباً كاملاً أسماه " دعاء علي رضي الله عنه علي عبد الله وعبيد الله ابن عباس " اللّٰهُمَّ العن ابن فلان يعني ابن عباس، واعمِ أبصارهم كما أعميت قلوبهم ثم نختم رحلتنا بتفسير القمي في الآية" إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط " قال القمي:" نزلت هذه الآية في طلحة والزبير رضي الله عنهما والذي بشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لهم الجنة " ونكتفي بهذا القدر من كتاب الشيعة والسنة للعلامة إحسان إلهي نظير، الذي فضح فيه عقيدة الشيعة ومدى عداءهم لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأهل السنة والجماعة وتعديهم حتى على كتاب الله عز وجل وتحريفهم له.

" القهيلا "

إذا جلست معه أخذك الإحساس بالامتلاء بل وحد الشبع ، لا من طعام ولكن اطعم وألذ ، الثقافة والعلم والإرادة القوية الشابة الفاعلة وأيضاً الباحثة المعطاءة، إنه الأستاذ الكاتب الصحفي " فتحي الأبياري"، ابن جزيرة الفاروس " عروس البحر" التي تئن كلما ذهب بعيداً عنها وهو أيضاً حتى للحظة الواحدة ، تناول كتابه " القهيلا" وأسرار المذابح الإسرائيلية، ولنبدأ الرحلة

كلمة " القهيلا" ليست لها أصل بالعربية ، ولكنها كلمة عنصرية بضعها القاموس العبري فقط ، بمعنى الحكومة ، ولكن من نوع خاص ، سرية تدبر وتخطط لمصلحة جنس واحد ، ألا وهو اليهود في العالم يسود العالم ويسوقه كيفما أراد لرغباته ونزواته وعنصريته، فمن وراء انفجار المجتمع الروسي الماركسي في لحظة واحدة ليصبح دولا تحدها الحدود وتقودها أفكار شتى، ومن وضع مونيكا في أحضان الرئيس الأمريكي، وهذه الحروب التي تشتعل هنا وهناك ، الإجابة " إنها القهيلا " نفسها والتي تشارك قلب امريكا " نيويورك " فهي فاتيكان عالم اليهود ذات المرض الهستيري بكلمة " شبيك لبيك أمريكا بين إيديك " ، بتأكيد وزير خارجيتها " إن الأمة الأمريكية أمة يهودية مسيحية" ضارباً بعرض الحائط بأمريكا صاحبة أكبر دعوة لحرية الأديان، ولتفضح كلمته مدى العنصرية والتعصب

والانحياز، بل والكراهية لاحتقاره لمذاهب وأديان أخرى والتي تعيش في بلد الحرية ، مما يؤدى كما يقول المؤلف "مبشراً للخير" وإيذائنا بتفكك العلم الأمريكي عاجلاً أو آجلاً، ليصبح إعلاماً ودولاً بالتالي يؤدي إلى الفكاك والتحلل من أيادي " القهيلا" وسيطرتها، فلا تجد ملاذاً حتى بالمجتمع اليهودي نفسه بفلسطين، وهذا بشهادة أخطر تقرير إسرائيلي أعده الكينيست والخارجية والاستخبارات، منذراً بسقوط الدولة العبرية وبتآكل المجتمع العبري والإعلان عن هجرة العقول المتميزة والذين كان لهم النصيب الأكبر بالمساهمة في بناء دولة إسرائيل، ملوحاً بما يزيد عن أكثر من ثلاثة أرباع المليون هاجروا إلى كندا ونيويورك وسان فرانسيسكو ولوس أنجلوس وميامي وبلدان أخرى.

ثم تأتي الهزة العنيفة لهيمنة وقوة السلاح الإسرائيلي خاصة الطيران، والذي يمثل ذراع إسرائيل الطولي بإعلان ن**27** طياراً رفضهم القيام بعمليات تصفية في الأراضي الفلسطينية ، وكان على رأس هذه القائمة العميد احتياط " يفتاح سبكتور" الذي يعد طيارًا أسطورياً بسلاح الطيران الإسرائيلي، وكان مرشحا لمنصب قائد سلاح الطيران ، والمبشرات كثيرة بزوال " القهيلا " ونزوح المجتمع اليهودي إلى أرض الشتات مرة أخرى، وهذا ما يؤكده المؤلف فتحي الأبياري في كتابه، فهو يدق بدقات منتظمة بلفت الأنظار والعقول إلى المجتمع العربي خاصة بعدم التوحد مع حلٍ واحد وطريق واحد وأسلوب أيضاً واحد، ولكن هناك بأرض فلسطين

طرق ومسالك كثيرة بعضها ناجح وبعضها في سبيل النجاح والآخر يفشل، ولكن تجتمع جميعها في هدف واحد وهو تحرير المقدسات وعودة اللاجئين، وسيأتي خبر انهيار المجتمع اليهودي نفسه رغماً عنهم وبما فعلت أيديهم

"أوروبا والإسلام"

أوروبا القارة الساحرة التي مازال شباب العالم وخاصة العالم الثالث ينظر إليها مستقبلاً وأملاً وبوابة للخروج من أزماته المتلاحقة، تدق أجراسها والخمر تصب والزنى يعم هذه الأوروبا هي رحلتنا في كتاب: "أوروبا والإسلام" للعالم التقي صاحب مشاهدات حرب العاشر من رمضان، الدكتور عبد الحليم محمود ، الذي أنار الفكر القرآني قلبه ووجدانه فأخرج هذا الكتاب، لا مدافعاً عن الإسلام كما ينتهج العلماء اليوم واضعين المجتمع المسلم في موضع الاتهام ، بل متحدياً لكل حاقد وحاسد لهذا الدين وذلك بشهادة صفوة القوم في أوروبا نفسها لكي يشعر المسلم بعزة وفخار لأنه مسلم وأن يعرف في شيء من الوضوح أن الإسلام في العهد الحاضر هو الدين الذي يعد ديناً عالمياً

يبدأ شيخنا بتوجيه اللوم إلى مبعوثي الأزهر إلى العالم الخارجي، يقول: "إنما بعثوا لتعليم الحساب والخط والإملاء واللغة العربية في مدارس إسلامية وليس لنا مبعوثون، وإذا كان الدين الإسلامي ينتشر فإنما ينتشر بقوته الذاتية رغم الهجوم عليه ورغم العقبات التي تعترض طريقه، ثم يأتي بشهادة واحد من صفوة القوم " كارلايل" وهو أحد كبار كتاب الإنجليز متحررًا من الرياء والخبث يتتبع البطولة، وقد أثار كتابه "الأبطال" إعجاباً في ميدان الفكر العالمي يدافع فيه عن الإسلام يقول "من العار أن يصغي

أي إنسان متمدين من أبناء هذا الجيل إليّ وهم القائلين أن دين الإسلام كذب وأن محمدًا لم يكن على حق، ثم يأتي " الفونس رينيه " الفرنسي من أعظم فنانين فرنسا ورجال التصوير وقد درس الروح العربية وفهمها الفهم الصحيح وقد أعلن إسلامه رسمياً بالجامع الجديد بمدينة الجزائر في اجتماع حافل عام **1927**م ، ومن أهم أقواله: " أن الشرق لم يضمر للغرب الإساءة ، وأن الغرب يخطئ إذا ظن أن الشرق لا يستحق العناية، مع أن الشرق قد عرف كل دخائل الغرب وأنه مع ذلك لا يحمل له إلا السلامة "، ثم يذكر الشيخ العالم ، رجل عند إسلامه قد أحدث ثورة كبرى في العالم، الفيلسوف الحكيم " رييننه جينو" الفرنسي من أعلام المفكرين والذي يدوي اسمه في أوروبا قاطبة وفي أمريكا، والذي يعرفه كل هؤلاء الذين يتصلون بالدراسات الفلسفية والدينية ، فقد كان إسلامه اهتزت له ضمائر الكثيرين فاقتدوا به واعتنقوا الإسلام وكونوا جماعات مؤمنة مخلصة تعبد الله على يقين، وكان من مؤلفاته الخالدة كتاب " الشرق والغرب" والذي يجعل من كل شرقي أن يفخر بشرقيته، وقد رد للشرق اعتباره مبيناً أصالته في الحضارة وسموه في التفكير وإنسانيته التي لا تقاس بها مادية الغرب وفساده وعداوته التي لا تقف عند حد، وقد انتشرت مؤلفاته في جميع أرجاء العالم وطبعت المرة بعد المرة وترجم الكثير منها إلى جميع اللغات ما عدا "اللغة العربية "، حتى أن وصايا " الدلاي لاما " استعانت بمؤلفاته وأخذت منها.. تلك بعض الصور الحية التي سردها العالم التقى الدكتور

عبد الحليم محمود في كتابه " أوروبا والإسلام" يتحدى بها الغرب ومن العجيب أن هذا الكتاب كانت فكرته منذ عام **1932**م وطبع في عام **1973**م وهو عام الانتصار، فجاء صدوره أيضاً نصراً وتحديا للفكر الغربي

" الشفاعة "

كم تمنيت ألا أقف هذا الموقف وأسطر هذه الكلمات ومع من، مع أستاذنا والحبيب إلى قلوبنا بل للجميع، الأستاذ المفكر العلامة الدكتور مصطفى محمود

والآن مع رحلة في مؤلف من مؤلفاته كتاب "الشفاعة" والذي كما قيل في المثل " أقام الدنيا واقعدها"، لمحاولة الدكتور توضيح معنى الشفاعة في كلام أكثره مجملاً وليس تفصيلاً

ومن حيث أننا ننطلق جميعاً للمحاورة والتفاهم معتمدين على مالك الملك سبحانه وتعالى وآخذين بحسن الظن على طول الطريق وحتى نهايته

ومن هنا نبدأ الرحلة نسير معه إلى حيث صار إلى الصواب، ونقدم ما نعلمه من تراث العلماء فيما أخطأ فيه

نستعرض بداية مقدمة كتابه وإظهار إشكالية الشفاعة، ولا أدري لماذا سماها بالإشكالية، مع أن العلماء الأكابر قد قاموا بالاجتهاد في مثل هذه الحالات وأوضحوا أن سبب الإشكالية ينصب دائماً على قصور في الفهم أو عدم تناول صاحب هذا الأمر أدواته العلمية وطرقه والمتفق عليها

وهنا وفي النهاية يظهر الأمر وينجلي ويحمد الله الجميع وتظهر فوق الرؤوس آية الله عزوجل "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا "المائدة **3** "

وقد تعرض لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم المشهور" إن كل من قال لا إله إلا الله سوف يخرج من النار ويدخل الجنة ولو زنى وإن سرق ، ولو زنى وإن سرق ، رغم أنف أبي ذر " ، ومخالفته إلى حد قوله للآية " إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا " النساء **145** ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حدد أسماء المنافقين لحذيفة رضي الله عنه ، فقد فصل الرسول صلى الله عليه وسلم في الأمر فأخرج هذه الشريحة من الناس من رحمة الشفاعة حتى قيام الساعة ، فلا يوجد تعارض بين الحديث والآية " فإذاً كل وحي من عند الله عز وجل ، فالقرآن وحي فنسخ الوحي بالوحي جائز، لأن كل سواء في أنه وحي "وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي " النجم **3**

وهكذا تستوي السنة مع القرآن في وجوب الطاعة بقوله عزوجل " من يطع الرسول فقد أطاع الله"النساء**80** ، وإنما افترقا في ألا يكتب في المصحف غير القرآن ، وفي سنن أبي داوود والأمام احمد بسند صحيح " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أني أوتيت الكتاب ومثله معه إلا أني أوتيت الكتاب ومثله معه إلا أني أوتيت الكتاب ومثله معه(ثلاثاً) ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه " (مثله يقصد سنته)

ولا شك أن أستاذنا يريد توضيح أنه قد سار العقل على مر العصور مع هذه الدعوة وكتابها الكريم جنبا إلى جنب لم يختصما ولم يتعارضا، وإن كل ما

بيننا وبين القدماء من فرق في تناول علوم الدين عامة وعلوم القرآن خاصةأنهم كانوا أكثر منا حرية مما نحن فيه عليه الآن، فما أسهل ان تختلف وجهة نظر بين باحث وباحث في أيامنا هذه حتى يسلط سلاح الكفر عليه، كأنما أصبح في طوق البشر أن ينصبوا من أنفسهم موازين للقلوب يحكمون على هذا بالإيمان وعلى ذلك بالمروق والزيغ.

وهكذا يحاول المؤلف جاهداً مع بداية القرن الواحد والعشرين تجديد شباب الفكر الإسلامي ودفعه إلى الأمام وإلى أعلى دفعات قوية تناسب نهضة المسلمين المرجوة بدلاً من النوم والغطيط العالي، فالحياة حركة في أي اتجاه، والحركة قد تخطئ وتصيب، ولكنها على كل حال أحسن من الهمود الذي أصبح يشبه الموت، فجاء كتابه دعوة لرفع الرماد الكثير والكثير على واحد من أنواع الفقه وهو فقه السمعيات والذي يتضمن علم " الشفاعة " إنها دعوة حياة لهذا العلم ليعرف كل من كان، مكانه ومكانته، أين هو من هذه الشفاعة.

" إغاثة الأمة بكشف الغمة "

الألفية الثالثة، وها نسبح فيها، ولكن يا ترى ماذا تحمل وكيف ستمر علينا، وعلى هذا العالم الذي أصبح في سباق مع الفقر المرض المجاعات التي مازالت تخطو خطواتها بثقة تامة وهكذا في الألفية الثالثة

لذلك أقدمنا بعمل رحلة لتذكرنا بهذه المجاعات ومدى قسوتها، رحلة في كتاب " إغاثة الأمة بكشف الغمة" للمؤرخ العلامة "المقريزي"، من كبار علماء القرن التاسع الهجري، ومن الذين عاشوا في العصر الذهبي للعولمة التراثية والتي رفع لواءها الأزهر

يستعرض المؤلف مُبدياً بأسباب الغلاء الذي حل بالخلق، كقصور ماء النيل، وعد م نزول المطر أو آفة تصيب الغلال أو رياح أو جراد وما شابه ذلك.

يذكر أن السبب الأول في هذه الأمور أنه سنة الله في الخلق إذا خالفوا أوامره وأتوا محارمه، فتكون الآفات السماوية في غالب الأمر، كما كان الحال في الغلاء الذي وقع في الدولة الأيوبية وسلطنةِ العادلِ "أبي بكر بن أيوب" عام **596** هجرياً، وسببه توقف ماء النيل عن الزيادة وقصوره وترحال الناس من القرى إلى القاهرة من الجوع، ثم حلول فصل الربيع بهبوب ريح أعقبه وباء وفناء حتى أكل الناس صغار بني آدم من شدة الجوع لدرجة أن الأب أكل ابنه مشوياً ومطبوخاً، والمرأة أكلت وليدها، ورغم وقوع العقاب

من الحاكم ، إلا انه فشا، فكان يوجد في الأسواق بين ثياب الرجل والمرأة كتف أو فخذ أو شيء من لحم الإنسان، كما أنه إذا دخل بعضهم إلى جاره فيجد القدر على النار فينتظر حتى يأكل ، فإذا هي لحم طفل

وقد وصل هذا الأمر بفقراء الناس وأكابر البيوت، وعرضت لحوم الأطفال بالأسواق والطرقات، فلما كان آخر الربيع انحسر ماء النيل إلى بر الجيزة وتغير طعم الماء وريحه، واستمر أكل لحوم الأطفال

كان الرجل يخرج بالريف في أسفل مصر وأعلاها يموت وفي يده المحراث، فيخرج الآخر للحرث فيصيبه ما أصاب الأول، وأكلت الكلاب والقطط حتى قل الكلاب وبيع الكلب منها بخمسة دنانير، وأخذت طوائف من الناس بالجلوس في أعلى بيوتها ومعهم السلب والحبال فيها كلاليب ، فإذا مر أحد ألقوها عليه ونشلوه في أسرع وقت وشرحوا لحمه وأكلوه

أما النساء فتأتي نساء القصور يخرجن وهن ناشرات شعورهن يصحن الجوع فتسقط إحداهن في الطريق وتموت جوعاً، وقد دام هذا الأمر سنين ثم أغاث الله عز وجل الخلق وأجرى ماء النيل فارتوت الأراضي وحصل الرخاء بعد ما خامر اليأس القلوب وظن كثير من الناس دوام تلك الشدة

ونحن نكتفي بهذا القدر من مشاهد رحلة كتاب "إغاثة الأمة بكشف الغمة " لنسجد لله شكراً على جريان ماء النيل وسدنا العالي وبحيرة ناصر، ونتذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " مر بسعد وهو يتوضأ فقال: لا تسرف في الماء فقال يا رسول الله أو في الماء إسراف، قال: نعم وإن

كنت على نهرٍ جارٍ "وقوله صلى الله عليه وسلم: "إن للوضوء شيطان يقال له الولهان، فاتقوا وسواس الماء

وتأتي حادثة الأعرابي الذي جاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله عن الوضوء فأراه ثلاثاً وقال: هذا هو الوضوء فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم "

هكذا في العبادة والصلاة والوضوء فما بالنا في حياتنا اليومية من إساءة وتعد وظلم

" رياض الصالحين "

كم يتمنى الإنسان أن يرتحل ويذهب، بل ويطير في عنان السماء ليشاهد هذا العالم العجيب الذي يستقر فيه، عائداً مستفيداً كما كان الحال مع هذا الطائر الصغير الحجم والذي كرمه الله تعالى في قصة نبي الله سليمان عليه وعلى الأنبياء الصلاة والسلام "الهدهد" والذي منحه الله جواهر التوحيد وعزائم العبودية لله وحده

تلك إذا رحلتنا في كتاب " رياض الصالحين " للأمام محيي الدين النووي والذي يعبر عن جانب من جوانب اتجاهاته العلمية، نرى فيها نور قلبه وبصيرته

هذا الكتاب، لا يستغني عنه داعية وما اختلف فيه عالمان من علماء الإسلام

هو الإمام محيي الدين أبو زكريا بن شرف بن مرى الخرامي ولد في شهر المحرم عام **631** هجرياً بنوى وإليها نسب، كانت علامات النجابة ظاهرة عليه منذ صباه بكثرة العبادة ومجاهدة النفس والصبر على المعيشة الخشنة واستعمال الوقت في الطاعة ومدارسة العلم، حتى استنار قلبه وصفت نفسه وقد قال عنه أحد أساتذته " الشيخ يس بن يوسف الزركشي": رأيت الشيخ محيي الدين وهو ابن عشر سنين والصبيان يكرهونه على اللعب وهو يهرب منهم ويبكي ويبتعد عنهم ليقرأ القرآن

يستعرض الإمام الفقيه علامات الساعة الكبرى ذاكراً بحديث النبي صلى الله عليه وسلم عن المسيح الدجال بخروجه من مكان بين الشام والعراق ، وأن له عين طافية بارزة ، يلبث في الأرض أربعين يوماً، يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامنا ويوصي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن أدركه فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف

يأتي المسيح الدجال على القوم فيدعوهم ، فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت ثم يأتي قوم آخرون فيردون عليه دعوته فينصرف عنهم ، فيصبحون مملحين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ثم يمر بالأرض الخربة، فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزئين ويمر المسيح الدجال من بينهما ، ثم يدعوه فينتصب الشاب واقفا ويتهلل وجهه يضحك، فيقول له المسيح الدجال: " أتؤمن بي" فيرد الشاب الصالح المؤمن ويقول: "ما ازدت فيك إلا بصيرة، يا أيها الناس إن هذا لهو المسيح الدجال الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس، فيذبحه" فيجعل الله عز وجل ما بين رقبة الشاب المؤمن إلى ترقوته نحاساً، فلا يستطيع إليه سبيلاً، فيأخذ الدجال بيديه ورجليه، فيقذف به فيحسب الناس أنه قد قذفه إلى النار وإنما ألقي في الجنة، ويشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل المؤمن " إنه أعظم الناس شهادة عند رب العالمين "

مازلنا مع الدجال ، فمعه ماء ونار، فأما الذي يراه الناس ماء، فإنه نار تحرق، وأما الذي يراه الناس ناراً فماء بارد عذب، وقد قذف الشاب المؤمن في نار الدجال وما هي إلا جنة، ومن أطاعه ودخل ماؤه وما هي إلا نار، ويأتي أكثر التابعين للدجال من يهود أصبهان "سبعون ألفاً" عليهم الطيالسة، وما من أرض ولا بلد إلا سطوة الدجال إلا مكة والمدينة وليس نقب من منقابها ولا مكان فيها إلا عليه الملائكة صافين تحرسها، ولا سبيل للدجال بدخولهما فيستقر في السبخة بجانب المدينة ، فترتجف المدينة ثلاث رجفات يخرج الله منها كل كافر ومنافق ، وعند هذا يبعث الله تعالى المسيح بن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي مدينة دمشق واضعاً كفيه على أجنحة ملكين من الملائكة، إذا طأطأ رأسه قطر ماء كالفضة وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ

وهنا لا يحل لكافر أن يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه إلى حيث ينتهي طرفه، ويذهب عيسى عليه السلام في أثر الدجال حتى يدركه بباب لد، فيقتله، ثم يرى عليه السلام قوما قد عصمهم الله عزوجل من هذه الفتنة، فيمسح على وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة

ويأتي الوحي من رب العالمين بخروج عباد لا يدان لأحد بقتالهم، فاذهب بعبادي إلى الطور، ويخرج بيأجوج ومأجوك وهم من كل حدب ينسلون ، فيمر أوائلهم ببحيرة طبرية فيشربون ما فيها من ماء ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ، ونبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه بالطور،

ومشهد الحال أن رأس الثور لأحدهم خيراً من المائة دينار، ويتوجه بالدعاء إلى الله تعالى مع أصحابه بالقضاء على يأجوج ومأجوج، ويستجاب للدعاء، فيصبحون قتلى كموت نفس واحدة ، ثم يهبط نبي الله عيسى عليه السلام من الطور إلى الأرض، فلا يجدون موضع شبر إلا ملئه نتنهم وزغمهم، فيدعو الله مرة أخرى فيرسل عليهم طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله تعالى ، ثم يرسل الله عز وجل مطراً لا يترك بيتاً مدراً ولا وبراً، فتغسل الأرض حتى تكون كالمرآة، ثم يأتي الأمر الإلهي للأرض أن أنبتي ثمرتك وردي بركتك، فيومئذ تأكل الجماعة من الرمانة الواحدة ويستظلون بقشرتها، ويبارك الله في الأبل حتى تكفي اللبون الصغيرة وتشبع الجماعة الكبيرة، واللبون من البقر، لتكفي القبيلة من الناس واللبون من الغنم لتكفي من الناس دون القبيلة

يمكث الحال سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله عز وجل ريحاً باردة طيبة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو دخل أحد الناس في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه

يبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطان في صورة رجل يهاب، فيقول ألا تستجيبوا، فيقولون: فبما تأمرنا، فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك في دار رزقهم حسن عيشتهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى إليه

وأول من يسمعه، رجل يلوط حوض إبله فيصعق ويصعق الناس حوله، ثم ينزل الله مطراً كأنه الطل أو الظل فتنبت فيه أجساد الناس، ينفخ مرة أخرى فإذا هم قيام ينظرون، وتشرق الشمس من مغربها، وتأتي نار تحشر الناس جميعاً

هنا تقوم الساعة ذلك اليوم الذي يجعل منه الولدان شيباً وذلك اليوم يكشف عن ساق وهكذا إلى ربك المساق فيجتمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، فينظرهم الناظر ويسمعهم الداني، وتدنوا منهم الشمس ويبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون ويكون الحساب لرب العباد سبحانه وتعالى

هذا ما تيسر من الكتاب وما هو إلا نبذة مختصرة من علامات الساعة الكبرى وكذا من كتاب رياض الصالحين الذي يحتوي على الكثير والكثير من العلم النافع الشافي المطل على كل حيران متردد متوتر في هذه الحياة الدنيا

" كتاب القرآن "

أسير بخطوات متثائبة، يغمرني آلام خلو جيب بنطالي من النقود، فهو لا يحوي إلا قروش قليلة تعد على اليد الواحدة، شارع النبي دانيال كنز الثقافة كما أسميه، عشرات الكتب ملقاة على الأرض تنتظر من يحنو عليها ويلتقطها ، يشجع بائع الكتب هذا الحنو بلافتة " الكتاب بخمسين قرشا" وتلك بجنيه واحد، ارتعش قلبي قبل أن ترتعش أطرافي كتاب منتظراً لحنو اليد، عنوانه "القرآن" قلت في نفسي هذه جرأة من المؤلف أن يسمي كتابه باسم " القرآن " انحنيت مطيعاً لقلبي التقطه، لم أفكر في مصاريف عودتي لمنزلي، ناولت البائع الخمسين قرشاً، لم أصبر حتى أعود لمنزلي، انزويت بجانب الطريق وأخذت اتصفحه، مؤلفه وهذه جرأة أخرى فالواجب اتباع للطرق في كتب الدين أن يُقال إعداد وليس تأليفاً، مما دفعني أقلب الصفحات لأرى ملامح هذا الكتاب، وهنا بدأت رحلتي في كتاب " القرآن " للأستاذ العلامة الواثق من خطواته محمد صبيح، أدعو له بجزيل الثواب

يستعرض المؤلف موقف قريش من هذا الوحي القرآني، وأنها حاولت بكل وسيلة وبشتى الطرق أن تمنع تأثر الناس من سماع القرآن، فأظهرت القصاصين الذين يحفظون قصص الفرس، وتلاوتها على الناس، كما أن سويد ابن الصامت عرض على النبي صلى الله عليه وسلم صحف لقمان

المتضمنة حكمه، فلما تلا النبي صلى الله عليه وسلم آيات من القرآن، تمتم سويد وقال إن هذا القول حسن ثم طوى صحفه وانصرف

ولقد جاء في آيات القرآن، الدعوة لقريش أن تحاول جاهدة محاكاته وأن تعمل ما في وسعها بالاجتهاد في الإتيان بسورة أو آية تشبه آيات القرآن " قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما اتبعه أن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لك فاعلم إنما يتبعون أهوائهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين"

ثم يأتي التحدي ليس للإنس فقط ولكن للجن "قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا" الإسراء **87**

" أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعو من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين " هود **12**

" وما كان هذا القرآن أن يفتر من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولم يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين " يونس **37-39**

" أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين " الطور

" إن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة مثله وادعوا شهدائكم من دون الله ان كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين " البقرة **43 -44**

وهكذا يظهر واضحاً تتدرج التحدي في ترتيب الآيات، فبدأ عزوجل بالقرآن اولا بطلب كتاب مثل هذا الكتاب، وقد وردت هذه الآية في سورة القصص وكان قد نزل قبلها سبع وأربعين سورة " طبقاً لترتيب المستشرق " نولدكه " التاريخي صاحب كتاب أدبي ألف عن القرآن تاريخياً، منها سور طوال مثل سور يوسف ، وسور قصار مثل سورة الناس

وقد عجزت قريش ولا تدري كيف تأتي بكلام مثل هذا الكلام ، وقد حاولت ترد على التحدي فعجزت، لذا نرى القرآن يخاطبهم بما ورد في سورة الإسراء من أنهم لم يستطيعوا ولن يستطيعوا من إنس ولاجن أن يأتي بمثل هذا القرآن، ومضى القرآن في تحديه، فلم يطالب بكتاب، ولكن طالب بعشر سور كما في سورة هود، ثم مضى خطوة أخرى فطالب في سورة يونس بسورة واحدة وكذلك في سورة البقرة

من هنا يأتي السؤال، ترى ما الذي منع قريش من أن تحاول الرد على هذا التحدي؟

تأتي الإجابة على هذا السؤال أمام فرضين:

أولهما أنها حاولت فكانت محاولاتها غير مجدية وظهر لها أن سجع الكهان وهو أرقى صورة من الصور الثرية عندها، لا يرقى إلى مرتبة البلاغة القرآنية، وقد ضاعت هذه المحاولات ولم تعلق بذاكرة أحد

ثانيهما إنها عجزت حتى عن هذه المحاولة، ويقودنا هذا الحديث إلى أن نلقى نظرة على المستوى الفكري الذي بلغته قريش، وهل كان يسمح لها بإجابة التحدي أولا أم لا؟

وإجابة السؤال عسيرة كل العسر ذلك لأن حياة قريش أو الحياة في الجزيرة العربية الأدبية أول ظهور الإسلام لم تؤرخ بعد تاريخاً يسمح بالحكم عليها فلا شك أنه كان للعرب شعوراً وشعراً، وكان لديهم نثراً وكانت لهم خطب ورسائل، ولكن امة الصحراء لم تكن لتحتفظ وتحفظ هذه الآثار إلا كما تحفظ الرمال خطوات نقشت عليها

يشير المؤلف محمد صبيح أن هناك طريقين لمعرفة المستوى الفكري الذي كان عليه العرب ابتداء من الدعوة بالرسالة

أولهما مراجعة النصوص الأدبية الثابتة من شعر ونثر التي خلفها العصر الأموي وهو أقرب العصور إلى العهد الفاصل بين الجاهلية والإسلام، وهذه نراها ممثلة في دواوين الشعر المشهورة مثل نقائض جرير وشعر عمر بن أبي ربيعة وخطب الخلفاء، فهذه النصوص يمكن أن تعد حلقة في سلسلة التطور الفكري، وإذا عدنا منها إلى الوراء قليلاً وأحصينا على وجه الدقة مقدار التأثير الذي أضافه الإسلام إلى العقلية العربية أمكننا أن نهتدي

إلى ما يلقي الضوء على هذه النقطة ليكشف لنا عن عقلية ناضجة تستقيم نظراتها إلى الأشياء

وثاني الطريقين اللذين نسير فيهما لمعرفة مستوى الفكر العربي في فجر الدعوة هو القرآن نفسه ، فقد كان يناقش ويجادل ويدافع عن نفسه وكان يشتد ويحتد ويعلو صوته حتى يصافح السماء، وما كان أسلوب القرآن في جداله لقريش يصل إلى هذه الدرجة من التحدي إلا أنه وجد أمامه خصاماً صامدين معاندين ولو أنه وجد أمامه جيلاً قد انحط إدراكه ولم يتجاوز دور الطفولة بعد لسهلت قيادته ولأمكن إدخاله في نطاق الدعوة في يسر وسهولة، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث، فقد مضى الوحي ربع قرن إلا قليلا وهو يتحدى ويدافع ويهاجم هذه الآراء والنظريات السائدة في الحجاز والتي كانت تعتمد على أصول من العقائد الوثنية واليهودية والنصرانية، كما كانت تستوعب بما ينقله المسافرون عبر الصحراء إلى بلاد الامبراطورية البيزنطية وبلاد فارس

إذا كان مجتمعا حياً قادراً على التفكير، نرى ما الذي منعه من أن يرد على تحدى القرآن ، وما الذي أعجزه في التقليد والمحاكاة أثناء حياة النبي صلى الله عليه وسلم، لا شك أنه العجز عن التشيع بالمعاني الجديدة التي كان يطرقها القرآن، وهنا بعض المعجزة ولا شك أنه العجز عن الوقوف على أسرار البلاغة القرآنية وطريقة تناول الآيات للمعاني التي وضعت لها، وهنا باقي المعجزة، ومن هنا تبدأ محاولات التقليد، فقد شغلت الفكرة وهي

فكرة معارضة القرآن وتقليده أذهان معاصري الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك لشعورهم بتبدل معالم حياتهم، وفشل المقاومة المسلحة من منع انتشار الدعوة المباركة، لذا فكرت في أن تلجأ مع السيف إلى وسيلة أخرى وهي أن تنشئ لها أنبياء مثل هذا النبي الذي ظهر في مكة وبدأت حركة التنبؤ والتي اعتمدت أساساً قبل أي شيء على النزعات القبلية لتدفعها إلى عدم الخضوع لحكم المدنية، فأنشأت هذه الزعامات وأطلقت عليها اسم النبوة، وليس ما يمنع من أن تصطنع لها وحياً وأن ينطق هذا الوحى بقرآن ، وها هو مسيلمة الكذاب بظهوره في العام التاسع والعاشر للهجرة ، حتى حروب الردة باليمامة في بني حنيفة، وقد زعم أن وحياً يهبط عليه من السماء يسمى "الرحمن" وأنه يهبط عليه في الظلام وأنه يقرئه قرآنا، ومما نسب إليه أنه يقول (يا ضفدع يا بنت ضفدعين نقي ما تنقين نصفك في الماء ونصفك في الطين لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين) وقال: (المبذرات زرعاً والحاصدات حصداً والزاريات قمحاً والطاحنات طحناً والعاجنات عجناً والخابزات خبزًا والثاردات ثرداً واللاقمات لقماً أهالة وسمناً لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر، ريفكم فامنعوه والمعتر فأووه والباغي فناوئوه)، هذا هو مسيلمة الكذاب وقد قصده طلحة النمري وسأل عنه قومه قائلاً: أين مسيلمة فصاحوا به أن يذكر أنه (رسول الله) ثم قادوه إليه فحاوره قليلاً وتبين سخفه، فقال له: أشهد أنك كذاب وأن محمداً صادق ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر.

وهذا وحي الأسود العنسي، فكان ينزل حسب زعمه ملك اسماه (ذو خمار) وكان رجلاً فصيحاً يجيد السجع كالكهان، إلا أن كلامه بطبيعة الحال ضاع كما ضاع غيره، أما وحي طليحة فقد كان ينزل به عليه فيما زعم ملك اسماه (ذو النون) وقال بل جبريل ولم يعرف شيئاً من قرآنه إلا أنه كان يعترض على السجود في الصلاة للمسلمين ويقول: صلوا قياماً فإن الله لا يصنع بتعفير وجوهكم وقبح أدباركم شيئاً

ثم تأتي سجاح فقد ادعت قرآنا إلا أن وحيها صمت حين لقيت مسيلمة الكذاب وتزوجته ودفع لها الصداق وأعفى أتباعها من صلاة (العصر) وظل قومها بنو تميم وقتاً غير قصير لا يصلون العصر (فقبيح بمثلهم أن يضيعوا صداق بنتهم)

وهكذا نرى أن محاولات تقليد القرآن في أواخر عهد النبوة وبعده قد أخفقت تماماً، فلما تقدم العهد بالإسلام ودخلت الأمصار المفتوحة تحت حكم المدينة وذابت مذاهب وعصبيات ونزعات لا أول بها ولا آخر ودخلت عقليات جديدة غير عقلية العرب تنبه المسلمون الجدد إلى بلاغة القرآن وإلى تحديه البلغاء فهذا ابن المقفع، عندما انتهى إلى قوله تعالى: "حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور.... إلى قوله تعالى: وقيل بعدا للقوم الظالمين"، قال هذا ما لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله وترك المعارضة

ثم يأتي المتنبي الشاعر المعروف قد تنبأ فعلاً في بادية الإسلام وأنشأ كلاماً أسماه قرآناً (والنجم السيار والفلك الدوار والليل والنهار إن الكفار لفي

خطار امض على سننك وأقف أثر من قبلك من المرسلين فإن الله قامع بك زيغ من ألحد في دينه وضل عن سبيله) إلا أنه عدل عن هذه المحاولة وتفرغ لشعره فكان أشهر الشعراء

وهذا أبو العلاء المعري في كتاب الفصول والغايات بأن يشعر القارئ بأنه حاول أن يقلد قصار السور وأطوالها (أقسم بخالق الخيل والريح والهابة بليل بين الشرط ومطالع سهيل أن الكافر لطويل الويل وأن العمر لمكفوف الذيل، تعد مدارج السيل ومطالع التوبة من قبيل تنج وما أخالك بناج)

فبعد هذه المشاهد لم نرَ التوفيق لم يقدر له كم لم يقدر لغيره بل المحقق أنه لم يظفر إلا بمثل سجع الكهان

ويأتي دور المستشرقين بما قالوا وتمسكوا به وهي سورة نحلها أحد الروافض سميت سورة النورين وما أنشأت إلا لتأييد دعوى سياسية وأن صاحب السورة تلك حاول أن يقلد القرآن واجهد نفسه في هذا اجهاد لاشك فيه حتى يمكننا أن نقول أن سورة النورين المزعومة أقرب صورة مزورة أراد دسها في القرآن ولكم بإمعان النظر فيها وترديد جملها يشعرك بالخلل في تركيب ألفاظها، وبيت القصيد في هذه السورة هو (أيها الرسول بلغ إنذاري فسوف يعلمون مثل الذين يوفون بعهدك إني جزيتهم جنات النعيم وإن عليا لمن المتقين ولقد ارسلنا موسى وهارون بما ستخلف فبغوا هارون فصبرا جميل فاصبر فسوف يبلون ولقد آتينا لك الحكم من قبلك من المرسلين وجعلنا لك منهم وصيا " أي علي ابن أبي طالب " لعلهم يرجعون ان

عليا قانتا بالليل ساجدا يحذر الآخرة ويرجوا ثواب ربه قل هل يستوى الذين ظلموا وهم بعذابي يعلمون) ويظهر واضحاً أنها أُنشِئت لغرض واحد وهو تأكيد معنى الوصي (عليا رضي الله عنه) وعمدت السورة المنتحلة إلى التصريح أن يكون خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكرت اسمه وتحدثت عن زهده وعبادته

ونختم رحلتنا بما ذكره الأستاذ محمد صبيح (بغلام أحمد) الهندي، ولد في مدينة قديان وقد ادعى أن الوحي ينزل عليه وذلك في عام **1876** م، فأذاع في الهند بيانا قال فيه إنه المسيح المنتظر وله كتاب منزل وقد ألقى على أتباعه ما سماه بالخطبة الإلهامية حاول فيها أن يقلد القرآن فألقاها باللغة العربية وسجع وسرق وانتهى إلى إلهام يضحك الثكلى وقرآن إذا تلاه إنسان لم يتبع قرآنه (أرأيتم إن كنت من عند الله ثم كذبتموني فما بالكم أيها المكذبون أنكم ترون كيف تنصر الناس وارتدوا عن دين الله ثم تقولون ما جاء مرسل من عند الله مالكم كيف تحكمون فانعم الله على هذه الأمة بإرسال مثيل عيسى علما لبني إسرائيل وإنا علم لكم أيها المفرطون) وقد مات غلام أحمد في عام **1908**م

وهذه المشاهد كلها تبين كيف صنع القرآن بعقول وخيال هؤلاء الناس وحسبوا أنه إذا جمعوا ألفاظاً كما استعمل القرآن وضمت بعضها ببعض يستطيعون أن يصنعوا قرآناً وصدق رب العزة تبارك وتعال (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)

" برتوكولات صهيون "

إن السكوت على الشر لا يليق بكريم ما وجد وجهاً شريفاً لدفعة، وأشرف شمائلنا وأعمالنا ما كانت محاكاة لله مستمدة من فضله، ولا نهمل حظنا من التسامح والرفق حتى مع ألد الاعداء ولوفار الغضب بنا وتعانق السيفان في قتال ، ولا ننسى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما رأى أصحابه يعدون آلات الحرب لمقاتلة الكفار وفي وجوههم هذا الغل وهذه الفورة للقتال فصعد المنبر وخطب فيهم خطبة بليغة ثم ختمها بكلمة جامعة شاملة " أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو ولكن تمنوا من الله السلامة "

ولكن لا مفر من قدر الله، وها هي الأحداث تتصارع وتتسارع بما حدث بقدسنا الحبيب وما تحتويه ثورة الحجارة المباركة امام هذه النعرة الساقطة القاتلة لبذور السلام قبل أن تنبت، فأصابتها بالعطن، وما كانت مصر أن تسكت عن هذه المشاهد والأحوال وما كانت مصر الزعيمة في هذه الظروف إلا أن تظهر للشعوب الواعية موقف البلاد التي ليس بينها وبين هذا الظالم أي اتفاقات ولا معاهدات تقف مكتوفة الأيدي لا تقدر حتى على أقل الأشياء من قطع العلاقات

هذا قدر مصر الشامخة أن تصبر مع الأيام، فالجميع يؤمن أن هذا الظالم المغتصب سينقض ما اتفق عليه عاجلاً أو آجلاً، ويظهر العملاق المصري

مرة أخرى ليلقنه درساً قاسياً عظيماً، فإن الغلبة بالوسائل الغير أخلاقية هو الخزلان الفاضح والخسران المبين

إذاً فنحن في رحلة في منتهى الخطورة (برتوكولات صهيون) ترجمة الأستاذ الأديب محمد خليفة التونسي الذي أطلق عليه زملاؤه "الشهيد الحي" نظراً إلى أنه ما أحد ترجم هذه البروتوكلات أو عمل على نشرها أو إذاعتها بأي وسيلة إلا انتهت حياته بالاغتيال أو الموت الطبيعي في ظاهره، ولكن في ظروف تشكك في وسيلته

المرأة السلاح الناعم الفتاك، ومنها خرجت البروتوكلات على يد الفرنسية بعد لقاء مع زعيم من أكبر زعماء اليهود، في وكر من أوكارهم الماسونية السرية، كانت فرصتها أن تختلس بعض الوثائق التي تتضمن قرارات مؤتمر هرتزل في مدينة بال بسويسرا عام **1894** م ، ثلاثمئة من أعتى يهود العالم يمثلون خمسين جمعية يهودية قد قرروا في المؤتمر الخطة السرية للسيطرة على العالم تحت تاج ملك من نسل داوود، هربت بها المرأة الفرنسية واختفت في ظروف غامضة

ما أصدق قول المعلم الفارسي " ماني" في القرن الثالث عندما قارن بين المسيحية واليهودية، ليرتفع بالمسيحية لسماحتها وأنكر اليهودية، بل اعتبر معبودها شيطاناً وتعاليمها وسوسة

نرجع إلى الوثائق ، وصلت إلى يد " اليكس نيقولا" كبير جماعة أعيان روسيا في عهد القيصرية وأدرك مقدار خطورتها وماذا سيصيب العالم من

هذه النزعة الصهيونية ومفاسدها، فحملها إلى صديقه العالم الروسي " سرجي نيلوس" قام بدراستها دراسة دقيقة وبالمقارنة بالأحداث الجارية في العالم استطاع أن يتنبأ بتفاعل هذه الأحداث وظهور ثمار البرتوكولات، من سقوط القيصرية في روسيا وسيادة الشيوعية، ثم سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية ثم عودة اليهود إلى فلسطين وقيام دولة إسرائيل ورحيل الملكية من أوروبا " ألمانيا ، النمسا ، رومانيا ،إسبانيا، إيطاليا "

هنا بدأت خطوات العالم الروسي نيلوس، بطبع النسخ من هذه الوثائق، لكشف نيات اليهود في المجتمع الروسي

وبدأت المذابح ضد اليهود في روسيا حتى قتل في احداها نحو عشرة آلاف من اليهود

وبدأت التحركات ، تيودور هرتزل الزعيم وأبو الصهيونية كما يسمونه بإصدار نشرات تفيد سرقة بعض الوثائق من " قدس الاقداس " ونشرها ، وهذا يعرض خططهم للفشل ويمنع من سيطرتهم على هذا العالم

بدأ استعمال السلاح الناعم الفتاك النساء، والأصفر البراق الذهب، والنفوذ القوى في أوروبا وخاصة بريطانيا من أجل الضغط على روسيا دبلوماسياً لإيقاف المذابح ووقف نشر الوثائق، وقد نجحوا في ذلك بعد جهود جبارة وحقيقة القول فإن العالم الروسى نيلوس، قد أصاب عندما أشار إشارة جازمة إلى ان هذه الوثائق أو البروتوكولات، ماهي إلا محاضرة ألقيت في ثلاث جلسات، الأولى البرتوكولات التسعة، والثانية البرتوكولات الخمسة

الختامية، والثالثة وضع نظم الحكم في دولتهم العالمية المنتظرة، فهم شعب الله المختار، ومن عداهم من بشر تحت أمارتهم وسيطرتهم، وهم ملكهم وحدهم يتصرفون فيهم كيفما يشاؤون دون قيد إلا مصلحة اليهود الخاصة، انصياعاً بما يزعمون في التوراة والتلمود

حانت الفرصة بأن تخرج هذه الوثائق مرة أخرى ويسلط عليها الضوء وتترجم بجميع اللغات العالمية وتقام الندوات للتعرف الشعوب على تلك الإساءة ذات النزعة الصهيونية، ذات الشكل العنكبوتي بأربعة عشر ذراعاً وهي البروتوكولات

تتلخص في أن يتم المساعدة لإعطاء الشعوب الحكم الذاتي لفترة وجيزة حتى تصير تلك الشعوب رعاعاً بلا تمييز، وفي هذه اللحظة تبدأ المنازعات والاختلافات التي سرعان ما تتسع وتكبر فتشتعل الفوارق الاجتماعية وتندلع النيران في الدول ، وسواء انهكت الدول الهزات الداخلية ام أسلمتها الحروب الاهلية إلى عدو خارجي، فإنها في كلتا الحالتين تعد قد خربت نهائيا كل الخراب، وأخيرا تقع في قبضة العنكبوت الصهيوني وذلك بأسهل الطرق وهو طريق المال والذي لا مفر من تلك الدول إلى اللجوء إليه إلا عن طريقهم، وتملي على الحكام سياسة لا تتفق مع الأخلاق في شيء، ومن هنا فإن الحاكم المقيد بالأخلاق والمبادئ ليس بسياسي بارع، وهو لذلك غير ثابت على كرسي الحكم وعرشه

البدء في تحريك وإشعال الحروب الاقليمية بين البلدان مع التحفظ في عدم إحداث أي تغيرات إقليمية عقب الحروب، فبدون التعديلات الإقليمية ستتحول الحروب إلى سباق اقتصادي، وهنا يظهر للشعوب التفوق في المساعدة التي ستقدم، كما تفعل السياسة الأمريكية اليوم

يقع جانب المتحاربين كليهما تحت رحمة الوكلاء الدوليين، ثم يتم اختيار من بين العامة رؤساء إداريين غير مجهزين على فن الحكم وموهبته، ويسهل التحكم فيهم وكأنهم قطع شطرنج في محيط اللعبة الصهيونية

دور الصحافة الموجهة لتزيد هؤلاء الحكام في ثقتهم العمياء بأنفسهم ومزاولة العلم والخطط التي قدمت لهم من الوكلاء الدوليين ويتم التقدم طبقاً للاتجاه الذي تم رسمه في ذاكرة العنكبوت الصهيوني

الإدارة والتحكم في الفصل بين قوة المراقبة وهي قوة الحكم والحاكم عن قوة الشعب العمياء في شتى البلدان فتفقد القوتان معا أهميتهما، فالانفصال ما هو إلا مثل الأعمى الذي فقد عصاه

سبل الأغراء للطامعين في السلطة بأن يسيؤوا استعمال نوافذ مناصبهم وسلطتهم ووضع القوى كل واحد منها ضد غيرها، مع تنمية ميولهم التحررية نحو الانفصال أو كما يسمونه الاستقلال، كل حزب يرى أنه هو الأولى، ويتم تسهيل وضع الاسلحة في إيدي تلك الأحزاب، وتكون السلطة هي هدف كل طموح إلى الرفعة والتقدم، وتعم الفوضى ويظهر الإفلاس في كل الأنشطة وفي كل مكان، وهذا ما حدث بالسودان، الشمال

والجنوب ، وجبهة البلوساريو في المغرب، وما حدث باليمن وما يحدث في الجزائر وغيرها من البلدان التي في سبيلها إلى التفكك والابتعاد عن أهدافها القومية

الطبقة العمالية، يتم برمجة هذه الطبقة على مستوى العالم على الاعتماد على الاضرابات والمخدومين والزملاء الذين هم في الأصل عملاء للصهيونية تظهر في صورة المحررين للعمال من الظلم متظاهرين بأنهم يقدمون المساعدة طوعا لمبدأ الأخوة والمصلحة العامة للإنسانية مع استغلال مشاع الحسد والبغضاء التي يشعلها الضيق والفقر وهي الوسائل المضمونة لاكتساح العالم

وهنا يظهر العنكبوت الصهيوني كقوة دولية مسيطرة فوق متناول الجميع ولو هوجم من دولة من الدول قامت الدول المتواجدة في شباك العنكبوت بالحماية والدفع راكعين امام العنكبوت ، لا يرثون لضعيف ولا يرحمون في معالجة الاخطاء ويتساهلون مع الجرائم وهذا ما يحدث بفلسطين وغض البصر بل والنصرة بما يرتكب من مذابح في كل يوم وفي كل ساعة

هذه الرحلة كانت في عام **2002**م والمشاهد للأحداث يدون في عقليته في أيامنا هذه في عام **2014**بقية أذرع العنكبوت الصهيوني والمتواجدة أيضاً في بروتوكولات صهيون

" العواصم من القواصم "

كم هو جميل أن يخلو الإنسان إلى نفسه، وكم من روعة أن يزيح الإنسان همومه ومشاغله عن رأسه، وهذا ماكنت أحبه بين الحين والآخر، وما أشد سعادتي عندما أرفع يديّ لأتحسس رأسي متأكداً بتواجدها فوق كتفي
تتسرب الأفكار خلسة وببطء وسكون إلى رأسي ويتم الاختيار في كتاب ما أشد حاجتنا إليه وإلى معرفة محتواه وقراءته " العواصم من القواصم " وكم ستغمره السعادة كل من يشاركنا في هذه الرحلة
يسجل الأستاذ محب الدين الخطيب إعجابه بالكتاب ومؤلفه وهو عالم من كبار علماء المسلمين، بيانا لما كان عليه أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم من صفات الكمال وإدحاضاً لما ألصق بهم وبأعوانهم من التابعين لهم بإحسان، يصلح على صغر صفحاته لأن يكون صيحة من صيحات الحق توقظ الشباب المسلم لدراسة حقيقة التاريخ الإسلامي واكتشاف الصفات النبيلة في رجاله، فيعلموا أن الله عزوجل قد كافأهم بالمعجزات التي تمت على أيديهم وأيدي أعوانهم في إحداث أعظم انقلاب عرفه تاريخ الإنسانية
مؤلفه هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبدالله بن احمد بن العربي، ولد في إشبيلية وكانت من كبرى عواصم الاندلس عام **468** هجريا، حفظ القرآن وهو ابن تسع سنين، بلغ القمة في مكانته العلمية بما ظهر من

مؤلفاته العظيمة وتولى في رجب عام 528هجريا القضاء في الأندلس ، وكان مثال العدل والاستقامة وحسن القيام بأمر القضاء

"قاصمة الظهر"

بعد أن استأثر الله بنبيه صلى الله عليه وسلم، وقد أتم له ولنا دينه وأتم عليه وعلينا نعمته " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً" المائدة

وما من شيء في الدنيا يكمل إلا وجاءه النقصان ليكون الكمال الذي يراد به وجه الله خاصة، وذلك العمل الصالح والدار الآخرة، فهي دار الله الكاملة

قال أنس: "ما نفضنا أيدينا من تراب قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى أنكرنا قلوبنا، واضطربت الحال، لما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه، أظلم منها كل شيء، فكان موت النبي صلى الله عليه وسلم، قاصمة للظهر ومصيبة العمر واضطربت الحال، وها هو حال صحابته صلى الله عليه وسلم.

علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، تخفى في بيته مع فاطمة رضي الله عنها، ولكنه لم ينقطع عن صلاة من الصلوات خلف الصديق رضي الله عنه

عثمان ابن عفان رضي الله عنه، فإنه سكت ولم يتكلم بأي كلام وذلك من هولِ تلك القاصمة والمصيبة.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قام وهو يقول ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم " يقصد المنافقين "

يحضر أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ويشاهد تلك الأحوال ويدخل المسجد، وما زال عمر رضي الله عنه يخطب في الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت حتى يفنى الله المنافقين

سعد بن عبادة رضي الله عنه رأس الانصار وزعيمهم يرى أن الأمر لهم لأن البلد بلدهم وهم أنصار الله وكتيبة الإسلام

الحباب بن المنذر ممثلاً للمهاجرين يخطب فيهم " منا أمير ومنكم أمير

أسامة بن يزيد رضي الله عنه قائد الجيش الذي أعده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سبعمئة جندي وفارس للسير شرق الأردن متجهين إلى الشام لمقاتلة الروم، وقد أشار كثير من الصحابة ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن لا ينفذ الصديق هذا الجيش لما وقع من الاضطراب في الناس ولا سيما القبائل كل هذه التفاعلات والأحداث، تظهر في الأفق "العاصمة" وبتوفيق من الله سبحانه وتعالى تبدأ الأمور والأحوال في الاتزان وإقامة دينه على التمام بأبي بكر رضي الله عنه ، يذهب إلى بيت ابنته عائشة رضي الله عنها وفيه مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكشف عن وجهه الشريف واكب عليه يقبله وهو يقول: " بأبي أنت وأمي يا رسول الله، طيبت حيا وميتا، والله لا يجمع الله عليك الموتتين ، أما الموتة التي كتبت عليك

فقد متها " ثم خرج إلى المسجد والناس فيه وعمر يهجر من القول كما قدمنا ، صعد أبو بكر الصديق المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "أما بعد أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم قرأ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل فإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين" آل عمران **144**

يخرج الناس يتلونها في سكك المدينة، كأنها لم تنزل إلا ذلك اليوم

اجتمعت الانصار يتشاورون ولا يدرون ما يفعلون وبلغ ذلك المهاجرون، فقالوا نرسل لهم يأتوننا فقال أبي بكر رضي الله عنه، بل نمشي إليهم، فذهب المهاجرون وفيهم أبي بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح

بدأ اقتراح بعض الأنصار منا أمير ومنكم أمير وكان هذا كلام الحباب بن المنذر، وتحدث أبي بكر كلاماً كثيرًا مصيباً يكثر ويصيب "نحن الأمراء وأنتم الوزراء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأئمة من قريش، وقال: أوصيكم بالأنصار خيراً أن تقبلوا محسنهم وتتجاوزوا عن مسيئهم، إن الله سمانا الصادقين وسماكم المفلحين، وقد أمركم أن تكونوا معنا حيثما كنا، ثم تلا: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين. التوبة **119**، وزاد وأوضح من الأدلة القوية "

تذكرت الأنصار ذلك وانقادت إليه وبايعوا أبي بكر رضي الله عنه

استقرت الأمور وقال أبي بكر لأسامة بن زيد أنفذ لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمر رضي الله عنه، كيف ترسل هذا الجيش والعرب قد اضطربت عليك، وكانت إجابته المشهورة: "لو لعبت الكلاب بخلاخيل نساء المدينة ما رددت جيشاً جهزه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حللت لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم

يبدأ جيش أسامة بالزحف في طريقه إلى شرق الأردن وتوافدت القبائل إلى المدينة يقرون بالصلاة ويمتنعون عن أداء الزكاة، وكانت حجتهم وتأويلهم في هذا الأمر قول الله عز وجل " خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم " التوبة **103** ، فلن ندفع الزكاة إلا إلى من صلاته سكن لنا، وقد أشار بعض الصحابة على أبي بكر ان يتركهم وما هم عليه من منع الزكاة ويتآلفهم حتى يتمكن الايمان في قلوبهم ثم هم بعد ذلك يزكون، كان الرفض من الصديق " والله لو منعوني عناقاً وفي رواية عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لقاتلتهم على منعها، إن الزكاة حق المال والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة "

كل تلك المشاهد كان عاصمة لأمة الإسلام من التفكك والضياع من رسالة الدين وأعمدته التي تصعد بالأمم إلى العلو والإنسانية والتي هي جوهر هذا الدين

نعود إلى الحبيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد توفي يوم الأثنين ودفن يوم الثلاثاء وكان الناس يصلون أفذاذا لا يئمهم أحد، واختلف الرأي أين يدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال بعضهم يدفن عند المنبر وقال آخرون يدفن بالبقيع

يفصل أبي بكر رضي الله عنه " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " ما دفن نبي قط إلا في مكانه الذي توفي فيه " كان رابط الجأش ثابت العلم والقدم في الدين

كان أبي بكر رضي الله عنه ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قبض الأمانة، فعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله يعلم أنه فيه لصادق بار راشد تابع للحق

توفي أبو بكر رضي الله عنه ثم استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فظهرت بركة الإسلام ونفذ الوعد الصادق في الخليفتين وهو وعد الله عزوجل في سورة النور**55**" وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون "

ولقد كان المجتمع الإسلامي بتوجيه هذين الخلفيتين اسعد مجتمع إنساني عرفه التاريخ ، حيث أن الناس من ولاة وأمراء وحكام ورعية وشعوب كانوا يتعاملون بالإيثار، فكان الواحد يكتفي بما يفي حاجته ويبذل من ذات نفسه أقصى ما يستطيع أن يستخرج منها جهدا لإقامة الحق في الأرض وتعميم الخير بين الناس ، ورضي الله عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمعين

" الفسطاط "

بزغ نجم الإسلام، وها قد انتشرت الدعوة، وتكونت بفضل الله الدولة العربية الإسلامية، وجاء عصر الفتوح الإسلامية لتنشر الهدى والنور في شتى بقاع المعمورة وعم الخير الكثير لبلاد غمرها نور الإسلام وعدالته

أُنشئت البصرة على يد عتيبة بن غزوان عام 16 ه وأصبحت معروفة حتى يومنا هذا

شيدت الكوفة عام 18ه ، وذلك بعد ان هزم سعد بن أبي وقاص الأمبراطورية الفارسية

جاء دور مصر (الفسطاط) وفتحت في عام 18ه على يد عمرو بن العاص

ومنها نبدأ برحلة في كتاب " الفسطاط " للأستاذ الدكتور عبد الرحمن زكى من مجموعة المكتبة الثقافية وهي أول مجموعة تحقق العدالة الثقافية في البيت المصري عام 1959 م

يبدأ المؤلف بفتح مصر على يد العرب ، وكانت الإسكندرية عاصمة البلاد، وتنفيذاً لأوامر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بإنشاء مدينة جديدة فتم اختيار مدينة والتي عرفت باسم الفسطاط

قام بتخطيطها أربعة رجال ، معاوية ابن خريج وشريك بن سمى وعمر بن مخرم وجبريل ابن ناشرة وكان التوفيق في اختيار موقع المدينة الجديدة ولتصبح القاعدة الأولى لمصر الإسلامية ، ولترتفع اهميتها بإعادة حفر قناة

قديمة تسمى " أمنيس تراجانوس" طريانوس ، وبواسطتها ترسل الغلال إلى بلاد العرب من حيث أنها كانت تربط بابليون والبحر الأحمر عند القلزم " السويس " لتكون الحلقة الهامة للمواصلات بين خليفة المؤمنين والفسطاط

وتأتي المرحلة الأخرى وهي بناء الجامع العتيق مسجد عمرو بن العاص، أقدم مساجد مصر وبنى مكان لوائه وعرف باسم مسجد أهل الراية، وهي نخبة من الأنصار والمهاجرين، كانوا يؤلفون قوات الجيش وتلتف حولهم كل قبيلة برايتها

أورد المؤرخ ابن عبد الحكم أنه قد خطب فيه عمرو بن العاص يوم الجمعة وقد جاء فيها " حدثني عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيراً فإن لهم فيكم صهراً وذمة فكفوا أيديكم وعفوا فروجكم وغضوا أبصاركم " وحدثني أيضاً أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جنداً كثيفاً فذلك الجند خير أجناد الأرض ، فقال الصديق : ولم يا رسول الله ؟ ، قال لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة " وكان من مشاهد الرباط انتصارات العاشر من رمضان وتحرير سيناء " بالألفية الثانية ونحن في الألفية الثالثة فمتى يظهر الرباط وإلى من يوجه؟

وقد وصف الرحالة الأندلسي ابن سعيد الذي زار مصر في القرن الثالث عشر المسجد والذي سماه باسم "تاج الجوامع " بمدى الإهمال الذي وقع منه المسجد واتخاذه العامة رجالا ونساء، فقد جعلوه معبر بوطأة أقدامهم يمرونه فيه من باب ليقرب عليهم الطريق وكذلك الباعة يبيعون فيه أصناف المكسرات والحلوى والناس يأكلون في أمكنة عديدة غير محتشمين والعنكبوت قد عظم نسجه في السقوف والأركان والحيطان والصبية يلعبون في صحنه وحيطانه

ثم يأتي وصف الرحالة ناصر بن خسروا ومشاهدته للأحوال في عصر الخليفة المستنصر بالله وكيف شيدت مصر على ربوة وجانبها الشرقي جبلي يتكون من جبال حجرية غير عالية كالتلال وفي طرف المدينة جامع بن طولون وإعجابه بجدران المسجد ومقارنته بعدم وجود مثيلها إلا جداري آمد وميافاقين

ثم يأتي عهد الحاكم بأمر الله حادثة بيع المسجد من أحد أحفاد ابن طولون بثلاثين ألف دينار مغربي وبعد

فترة من الزمن شرع هذا الحفيد في هدم المأذنة بحجة أنها لم تبع فأعطاه الحاكم بأمر الله مرة أخرى خمسة آلاف دينار ثمناً لها، وكان السلطان يصلي فيه طوال شهر رمضان وأيام الجمع في بقية الشهور، ثم يكمل الرحالة ناصر خسروا أعجابه بالبيوت وروعتها وكبر مساحتها حتى أن هناك بيتاً من سبعة أدوار وفي أعلاه حديقة وحمل إليها عجلاً رباه صاحب

البيت فيها حتى كبر ثم نصب ساقية وكان هذا الثور يديرها ويرفع المياه إلى الحديقة من البئر، كما زرع بها أشجار النارنج والموز والورد والريحان وأنواع أخرى من الزهور

كانت تضاء شوارع الفسطاط بالقناديل دائماً لأن الضوء لا يصل إلى أرضها ويوجد بها سبعة جوامع غير جوامع القاهرة الثمانية ومن أجملها وأروعها جامع عمر وبن العاص الثاني أيام أمارته ويسمى باب الفتوح المقام على أربعمائة عمود من الرخام ويحيط بالمسجد من جهاته الأربعة الأسواق ويدخل فيه طوائف من الناس من طلاب العلم والقراء والكتاب الذين يحررون الصكوك والعقود وغيرها وهو مكان اجتماع سكان المدينة الكبيرة ، ولا يقل من فيه في أي وقت عن خمسة آلاف وقد اشتراه الحاكم بأمر الله من أبناء عمرو بن العاص فقد ذهبوا إليه وقالوا نحن فقراء معوزون وقد بنى جدنا هذا المسجد فإذا أذن السلطان نهدمه ونبيع احجاره ولبانته، فدفع لهم بمائة ألف دينار وأشهد على ذلك كل أهل مصر، ويشتهر هذا المسجد بثريا من سبعمائة قنديل ووزنها خمسة وعشرون قنطاراً من الفضة ولم يتسع لها أي باب من أبواب المسجد لكبرها فخلعوا باباً وأدخلوها منه ثم ردوا الباب مكانه

ونأتي بمشهد على الجانب الشمالي للمسجد بسوق يسمى " سوق القناديل " به عمال مهرة ينحتون بللوراً في غاية الجمال وهم يحضرونه من المغرب ، وكثرة الجلود الآتية من الحبشة تشبه جلد النمر ويعملون منه النعال، وتمتلئ الأسواق بالسكر والعسل المصري والفواكه من تفاح وسفرجل ورمان وكمثرى وبطيخ وموز وزيتون وقصب وليمون وقرع ولفت وكرنب وفول أخضر وخيار وبصل وثوم وحزر وبنجر ويذكر السبب في اجتماع هذه الاصناف الكثير والتي بعضها خريفي وبعضها ربيعي وبعضها صيفي ويشهد الرحالة أنه ليس له قصد فيما ذكر ولم يسجل إلا ما رأى بأم عينيه وأنه لا يكذب ولا يكتب من الاستماع فقط ولكنه يكتب ما يشاهده.

ويأتي مشهد تجار مصر واحوالهم فإنهم يصدقون في كل ما يبيعونه وإذا كذب أحدهم على مشترٍ فإنه يوضع على جمل ويعطى جرسًا بيده ويطوف به في المدينة وهو يدق الجرس وينادى قائلاً: " قد كذبت وها أنا أعاقب وكل من يقول الكذب فجزاؤه العقاب"

وأخيراً دور السلطان كان الناس يثقون فيه ولا يخشون الجواسيس ولا الغمازين ، معتمدين على ان السلطان لا يظلم أحد ولا يطمع في مال أحد كما ان الأمن لم يره في البلد من قبل والشاهد على تلك الأحوال أن هناك كان نصرانياً من أثرياء مصر قيل أن مراكبه وأمواله وأملاكه لا يمكن أن تعد وحدث أن في سنة كان النيل ناقصا وكانت الغلة عزيزة فأرسل الوزير إلى هذا النصراني وقال: " ليست السنة رخاء والسلطان شفق على الرعية

فأعط ما استطعته من الغلة إما نقداً وإما قرضاً فأجاب النصراني " أسعد الله السلطان والوزير ، إن لدي من الغلة ما يمكنني من إطعام أهل مصر من الخبز ست سنوات

وهنا ننهي رحلتنا فقد نفد الخبز وعلينا التزود لرحلة أخرى

" هرمجدون آخر بيان يا أمة الإسلام "

((تنبيه لابد منه))

أرجو من القراء أن يسمحوا لي بتلك الكلمات والتي أصر على كتابتها لمعرفة ظروف هذه الرحلة والتي بإذن الله تسركم

تناولت هذا الكتاب بمعنى شراؤه في أشهر غزو العراق واختفاء صدام حسين وقد أعجبني من حيث تناول المعلومات والتوازي العجيب بما يجري على الساحة العالمية

ولأمانة مادة هذا الكتاب والتي لم نرَ أحداً من السادة الكتاب قد تناولها فكان لهذا الكاتب أو الباحث السبق في النشر والتداول

قد يذكرني هذا الباحث رغم فارق الزمن والمكانة بأكبر علماء الحديث البخاري ومسلم ، فكان الأمام البخاري الأول في جمع مادته "صحيح البخاري" وتصنيف أبوابه بما كان عنده من الخبرة ، وجاء الأمام مسلم ليكمل مسيرة البخاري في " صحيح مسلم" وقد امتاز عن البخاري في دقة التصنيف والتواتر في الترتيب وإحكامه في الإخراج ،ولهذا كان لمسلم التميز الواضح رغم ترتيبه الثاني بعد البخاري

ولهذا فقد قرأت الكتاب وبدأت في ترتيب الاحداث والمشاهد بأكثر دقة من الباحث والمؤلف نفسه

وأخيراً فقد أرسلت هذه الرحلات (خمس رحلات) إلى أكثر من مكان للنشر لتوقف الجرائد الإقليمية والتي أكتب بها لنشرها، ولكن كان منع النشر لوجود زعماء وقادة تخص مصر بالذات، بالإضافة إلى تحيز بعض رؤساء التحرير للجرائد لهذه الرموز والمذكورة في الرحلات، وبدأ في أسواق الكتب والنشر كتابات تشبه إلى حد كبير إلى مادة الرحلات مما أعطى لي الإيحاء بسرقة الرحلات

وقد يسألني أحد القراء لما سردت هذه الظروف والإجابة حتى لا يظن أحد أنني قد سرقت المعلومة والمادة من هذه الكتيبات المتواجدة على الساحة، بل العكس هو الصحيح

كتابتي للرحلات بدأت منذ عام **1998**م م وقد أشاد أكثر من مسؤول بالصحافة والإعلام ومثقفي الساحة المصرية برحلاتي ويكفيني هذا

" الفكر " كلمة لها من المكانة والتمكين منذ نشأة هذا الكون إلى ما شاء الله ونحن الآن أمام حالة تنطلق في الألفية الثالثة معبرة عن الأحداث التي تمر بها بلدان العالم عامة وبلدان الشرق خاصة

رحلة في كتاب " هرمجدون آخر بيان يا أمة الإسلام"

إعداد الباحث أمين جمال الدين واتهامه للعلماء والأمراء والحكام والسلاطين والمثقفين والسادة وقادة العسكر والعامة من المسلمين بالغفلة والإغماء والنوم ويعلن بأنهم على أبواب حروب متلاحقة ومشارف نهاية

العالم وقد أعطى خصوصية هذه الحروب للعراق والشام ثم تغشى مصر وتخبط الجزيرة العربية بأيديها وأرجلها واعتماده في ذلك الأمر بالأحاديث والآثار النبوية من الكتب المشهورة كصحيح البخاري ومسلم ومسند الأمام أحمد بل ذهب إلى كتب غير مشهورة كصحيح أبو عوانة ومعاجم الطبراني وسنن أبي سعيد وتاريخ ابن عساكر بالإضافة إلى المخطوطات النادرة والمحفوظة في أماكن مختلفة مثل المكتبة العراقية الكبرى "بغداد" ودار الكتاب خانة بإسطنبول بتركيا ومكتبة التراث في طنجة ودار الكتب القديمة بالرباط ومكتبة الجامع الأموي وأخيراً مكتبة البابا بالفاتيكان

وأصل هذه المخطوطات والآثار والمتعلقة بالفتن خاصة لم يحفظها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عدد قليل من الصحابة تمثل مشاهد ما حدث وما سيحدث إلى يوم القيامة بالتفصيل الواضح أو إشارات بالأسماء والوقائع والأحداث

فالشاهد على ذلك في خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الفجر محدثا عن مشاهد تمر بالأمة إلى يوم القيامة وجاء وقت الظهر وبعد الصلاة صعد وأكمل المشاهد حتى جاء وقت العصر وبعد الصلاة صعد وأكمل حتى غربت الشمس

وبهذا فقد ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصحابة صور مختلفة ومشاهد متواترة بما كان وما هو كائن ومن حكم الله عز وجل أن لا تحفظ هذه الأحاديث وتروى كثيراً على ألسنة الناس وذلك لما بها من اسماء

بعينها لأشخاص تأتي مع مرور الزمان وبها فتن ومواجهات ونزاعات مؤثرة تأثيراً مباشراً على حياة الناس، مثل الحجاج وأمراء بني أمية في العقود السابقة وأمراء ورؤساء وملوك في العصر الحديث وتذكر أسماؤهم إما تصريحاً أو تلميحاً أو كاللغز يفكر فيه الناس

ومن العجيب أنه في خلال القرن السادس عشر الميلادي ظهر عالم فلكي يهودي اسمه "كمايزعمون" ميشيل نوستراداموس كتب نبوءات لأمور مستقبلية وقعت وفق ما أقر به تماماً مثل الحرب العالمية الأولى والثانية وقعت في التاريخ الذي حدده ، وكذلك عن الثورة الفرنسية، وظهور جبابرة سماهم بأسمائهم مثل هتلر ونابليون وحديثه عن حرب عالمية ثالثة وأنها مدمرة " بيلوجية " وقدوم فتى الرب " المهدي " من جزيرة العرب

هذا الفلكي المزعوم قد وثقت فيه أمريكا وأوروبا بل أن واضعي السياسة هناك يعتمدون على هذه النبوءات في قراراتهم السياسية والعسكرية ولشدة توقعات هذا العراف وصحتها فقد تبين أن أجداده كانوا أمناء لمكتبة المسجد الأقصى وكل ما أورده موجود فعلاً بمخطوطات إسلامية ورثها عنهم " وهي من تراثنا المغتصب "

ومن أهم الأحداث التي حدثت عنها هذه المخطوطات وما زالت آثارها موجودة حتى كتابة هذه الرحلة أحداث سبتمبر وسقوط برج مركز التجارة العالمية وتداعى البرج الآخر، ثم احتراق مبنى وزارة الدفاع "البنتاجون "

وزوال هيبة تلك القلعة وذعر رئيسها وغزو الكويت وقدوم زعامة الشر لتحريرها وحرب العراق، بداية آخر الزمان وأحكام الحصار حولها كما ذكر في حديث الأمام مسلم " يوشك أهل العراق أن لا يجبي إليهم قفيز ولا درهم قلنا من أين ذاك؟ من قبل العجم يمنعون ذلك "

والقفز والدرهم من الأشياء التي تتم بها المعاملات المالية والاقتصادية بالعراق فكان الحصار بوقف المعاملات ووضع العراق في دائرة الحظر في شتى نواحي الحياة ، وحفظاً لماء الوجه وضعوا مسمى النفط مقابل الغذاء، ثم يأتي بقية حديث مسلم "يوشك أهل الشام ألا يجبي إليهم دينار ولا مدى" وقد أعقب حصار العراق حصار السلطة الفلسطينية والتلميح بحصار أهل الشام وأن الدور أصبح وشيك

ويستعرض الباحث ظهور أصحاب الرايات السود "حركة طالبان" بأفغانستان بمظهرهم المميز من عمائم سوداء وثياب بيضاء "وهو الظهور الثاني" كما يدل الاثر عن نعيم بن حماد شيخ البخاري "تخرج راية سوداء بني العباس، ثم تخرج من خراسان سوداء قلاسنهم سود وثيابهم بيض "

فالظهور الأول اصحاب الرايات السود من الشيعة ثم الظهور الثاني من خراسان، وقد وصفهم الأثر عن نعيم " تقبل الرايات السود من المشرق يقودهم رجال كالبخت المجللة أصحاب شعور أنسابهم القرى وأسماؤهم الكنى" فهم طوال القامة وقد أطلقوا شعور الرأس واللحية وأنسابهم تكنى

بالقرى التي جاؤوا منها " عبد السلام ضعيف، وكيل أحمد نور علي، وعبد الحي مطمئن، وبسم الله خان

ويكمل نعيم بن حماد المشاهد بأثر آخر " إذا اختلفت الرايات السود فيما بينهم آتاهم الرايات الصفر فيجتمعون في قنطرة أهل مصر فيقتتل أهل المشرق وأهل المغرب سبعا ثم تكون الدبرة على أهل المشرق" وقد شاهدنا هذه الأحداث ثم انفتاح بوابة الخلاف ولم تغلق حتى الآن، ومنها خلاف طالبان مع أحمد شاه مسعود وقوات الشمال والتناحر بعد أن وصلت حركة طالبان للسيطرة على ما يوازي **90**٪ من الأراضي الافغانية ، بل كان أول خلاف وبدايته ظهور اسامة بن لادن ومحاولته أخذ زمام الأمور من المجاهد الفلسطيني عبد الله عزام والاختلاف في مسيرة الإصلاح في المجتمع الأفغاني ويأتي دخان اغتيال عبد الله عزام مرحلة أولى لوقوفه كحجرة عثرة أمام تطوير روح الجهاد وتليها المرحلة الأخرى باغتيال أحمد شاه مسعود وتوجيه الاتهام لحركة طالبان مما ينسحب الأمر إلى عبد الله عزام" مع الفارق من استعانة أحمد شاه مسعود بقوات الغرب بذهابه إلى فرنسا "

ويأتي استفزاز المجتمع الثقافي على مستوى العالم بهدم الآثار والمتمثلة في تماثيل العبادة البوذية وكان من الممكن احتواء مشكلة هذه التماثيل في فرض الحظر كدولة لها السيادة الكاملة مما يدل على تخبط طالبان وعدم القدرة بالانسجام مع العالم الخارجي

هذا الأثر لأبي نعيم لم يكتفِ بذلك ولكنه أعطى الملامح والخاصة بقائد الرايات الصفر بصفة الأعرج وكان هذا حال نائب وزير دفاع قوات التحالف "ريتشارد مايزر" فإنه يطل على العالم بعكازين متحدثاً بمحاربة أصحاب الرايات السود "الأفغان"

والآن نحن مع مخطوطة نادرة من القرن الثالث الهجري بدار الكتب الإسلامية بكتاب خانة الترك بإسطنبول

" حرب آخر الزمان كونية، المرة الثالثة بعد اثنين كبيرين يموت فيها خلائق كثيرة "

ويأتي تعزيز هذه المخطوطة برواية في " فتح الباري بشرح صحيح البخاري" أن أبي هريرة رضي الله عنه كان يحفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث خاف أن يحدث به وعندما أحس بمشارف موته خاف أن يكتم هذا العلم ، فذكر الحديث لمن حوله عن حرب آخر الزمان وعلامات رجل يريد أن يملك الدنيا ويحارب الكل من بلاد اسمها " جرمن وهي " ألمانيا " ، له اسم الهر " هتلر" فأمسى في غضب الله بعد سنوات نار أرداه قتيلا " ولا يعرف حتى الآن بطريقة نهايته أهي انتحار أو قتل بيد أحد أعوانه "

ثم تأتي نهايته كما يروي الحديث " في بلاد ثلج وخير "روسيا وفرنسا "

ولنكمل حديث أبي هريرة رضي الله عنه ولولا خوفه من اقتراب أجله ما كان حدث به

" وفي عقود الهجرة بعد الألف و ثلاثمائة عد خمسا أو ستا ، يحكم مصر رجلاً يكنى " ناصر" يدعوه العرب شجاع العرب وأذله الله في حرب وحروب وما كان منصوراً " ، وقد كان من حرب **67** وتأثيرها الخاص على جمال عبد الناصر " النكسة " وخطاب التنحي من الحكم ثم حرب الاستنزاف " وما كان منصوراً"

" ويريد لمصر نصراً حقاً في أحب شهوره وهو له فأرضى مصر رب البيت والعرب بأسمر سادا أبوه أنور منه ولكنه صالح لصوص المسجد الأقصى بالبلد الحزين "

وكان نصر العاشر من رمضان حقاً ليس فيه خداع وفي أحب شهوره وهو شهر القرآن وعهد محمد أنور السادات، وبتوفيق رب البيت "مكة " إلى مصر بنصر يعز به كل العرب وجاءت المصالحة واتفاق كامب ديفيد وعودة سيناء

ولتكملة مشهد مصر المحروسة بما ذكر في نص "توراتي" في سفر أشعياء نسخة الفاتيكان متضمناً مشاهد لثلاثة مراحل انتقال مصر من الهزيمة إلى النصر بمشهد ثالث " وحكم مصر ملك اسمه حام حول أمسى لكنه خاس باليهود وكلمهم بالجاد والحسنى وحاذر من حرب وأشر على حرب وأراضٍ

شرقاً وغرباً بالعلاقات الودية، ثم تأتي نهايته من خلال حراسه بالاغتيال وكانوا شراراً وتجاراً

وهنا تفترق المخطوطة مع حديث أبي هريرة رضب الله عنه في المشهد الثالث فقط وهذه المشاهد تخص مصر بالذات

وتأتي شخصية أخرى في الحديث، رجلٌ متجبرٌ وسفياني النسب "وفي عراق الشام رجلٌ متجبرٌ سفياني في إحدى عينيه كسل قليل واسمه من الصدام وهو صدام لمن عارضه الدنيا جمعت له في "كوت" صغير دخلها وهو مدهون ولا خير في السفياني إلا بالإسلام وهو خير وشر والويل لخائن المهدي الأمين"

وهذا هو حال صدام حسين وشريط ذكرياته الأسود ومحاولة إضفاء صبغة الإسلام والجهاد لنظامه وهو صدام لكل من عارضه في منهجه الديكتاتوري وتأتي ورطة "كوت" وهي الكويت ومحاولة احتلالها وهو مدهون بالوعود الوردية والضوء الأخضر لهذا الاحتلال وتجتمع له قوات التحالف ولكن لم تحقق هذه القوات نهايته والقضاء عليه وعلى حزبه ونظامه غير تحقيق تحرير الكوت وهذا ما ذكره أبي نعيم بن حماد في مشهدين " يهزم السفياني من الجماعة مرتين ثم يهلك " وهذا تم فعلاً في الحرب الأولى ثم الحرب الثانية تحت حجة أسلحة الدار الشامل ودخول

قوات التحالف " أمريكا وإنجلترا وفي ذيلهم إسبانيا عام **2002** م وحتى الآن لم تنتهِ المشاهد بالعراق

ومن حيث أن لكل شيء بداية ونهاية وهذا ما ذكره أبي نعيم بتواتر المشاهد " وفي زمان السفياني المشوه الخلق هده بالشام حتى يظن كل قوم أنه خراب ما يليهم "

هذا السفياني الثاني يظهر تحت احتمالين أولهما أن يظهر هذا السفياني أثناء وجود قوات التحالف بالعراق والثاني ظهوره بعد خروج هذه القوات ويهيمن السفياني الثاني المشوه الخلق على شعب العراق وهذا المشهد والمشوه ولا ندري أهوه مشوه الخلق أم الخليقة يكون أول علامات ظهور المهدي

فنحن إذا عدنا إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه العجيب وجدنا أن هناك معركة المعارك "هرمجدون" وذكرها في الحديث " في عقود الهجرة الألف وأربعمائة وأعقد عقد اثنين أو ثلاثة يخرج المهدي الأمين ويحارب كل الكون فكلمة "هرمجدون " كلمة عبرية تتكون من مقطعين "هر" بمعنى جبل و"مجيدو" وهو وادي بأرض فلسطين بمعنى " جبل مجيدو" بفلسطين

معركة " هرمجدون " قد جاءت في توافق عجيب مع فكر مثقفي الغرب وخاصة رؤساء أمريكا وكأنها المحرك الأساسي والموجه الرئيسي للسياسة

الأمريكية والغربية على حد سواء فقد قالها صراحة الرئيس الأمريكي "ريجان " " أن هذا الجبل بالتحديد هو الجبل الذي سيرى هرمجدون "، وها هو الزعيم الأصولي المسيحي " جيري فولويل " إن هرمجدون هي حقيقة أنها حقيقة مركبة ولكن نشكر الله أنها ستكون نهاية العالم "

وتأتي الكاتبة الأمريكية " جريس هالسيل " تقول أننا نؤمن كمسيحين أن تاريخ الإنسانية سوف ينتهي بمعركة تدعى هرمجدون وأن هذه المعركة سوف تتوج بعودة المسيح والذي سيحكم بعودته على جميع الأحياء والأموات على حد سواء

وهكذا تجتمع ثلاثة أقوال سياسي ثم أصولي مسيحي ثم مثقفي الغرب، ويتوج هذه المشاهد من الفكر سفر الرؤيا **16/16** " وجمعت الأرواح الشيطانية جيوش العالم كلها في مكان يسمى هرمجدون "

ثم يأتي انجيل لوقا **12** :**7/5** يقول السيد المسيح عليه السلام " سآتي أيضاً وآخذكم لتكن أحقاؤكم منطقة وسرجكم موقدة، وأنتم مثل أناس ينتظرون سيدهم حتى يرجع من العرس حتى إذا جاء وقرع يفتحون له للوقت، طوبى لهؤلاء العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين "

ولترتيب المشاهد يظهر السفياني المشوه الخلق وهو البشارة لظهور المهدي بحديث أبي هريرة رضي الله عنه، ثم عودة المسيح عليه السلام كما جاء في سفر الرؤيا ولوقا وكما قالت الكاتبة " جريس هالسيل "أن تاريخ الإنسانية سوف ينتهي بمعركة تدعى هرمجدون وأن هذه المعركة سوف تتوج بعودة المسيح وبالفكر الإسلامي يظهر المهدي المنتظر أيضاً وقد قالها السيد المسيح عليه السلام " سآتي أيضاً" وبالرجوع لسياق المعنى فأنه لن يأتي وحده ولكن سيكون معه بالظن الثابت المهدي أيضاً

إذاً فالمعركة على أبواب السنين القادمة ولكن كيف يكون مشهدها وحالها؟!

والإجابة على هذا التساؤل نجدها في حديث النبي صلى الله عليه وسلم مصوراً المشهد كاملاً وأحوال هذه المعركة
إن الباحث أمين جمال الدين قد بذل كثير من الجهد المشكور لينذر العالم بقرب نهايته ولتكون صيحة تنبيه للنفس البشرية للقيام من غفلتها وكبح جبروتها وللعودة مرة أخرى إلى ناموس السماء وعدالة الأديان

إن من الواضح أن العالم سيكون مضطراً لهذا الأمر عاجلاً فالحروب متلاحقة ومصائب البلاد والعباد أصبحت متشابكة حتى أصبح مفكري

العالم في أدنى الأرض وأقصاها في مشهد الحيرة والتخبط في وضع الحلول لتخليص هذا العالم من همومه ونكباته وهذه المشاهد من التخبط والحيرة والنكبات إنما هي البوابة الأخيرة المفتوحة لقدوم السيد المسيح عليه السلام وكذلك المهدي المنتظر من خلال ما سردناه من سفر الرؤيا وانجيل لوقا وحديث أبي هريرة رضي الله عنه فمعركة " هرمجدون " على أبواب السنوات القادمة، ولكن من هم طرفي هذه المعركة ؟!

هنا في الحديث " ستصالحكم الروم صلحاً آمناً فتغزون أنتم وهم عدو من ورائهم فتنصرون وتغنمون وتسلمون، ثم تنزلون بمرج ذى تلول فيقوم رجل من الروم فيرفع الصليب ويقول غلب الصليب فيقوم إليه رجل من المسلمين فيقتله فيغدر الروم وتكون الملاحم فيجتمعون لكم في ثمانين غابة في كل غاية اثني عشر ألفاً "

وهذا الحديث له من القوة والصحة لعلماء الحديث المشهورين إذا سيكون هناك تحالف ومصالحة ومصالح بين المسلمين وبين الروم وبالتقريب للإحداث الجارية سيمثلون أوروبا ومعهم أيضاً من الأمريكان وتوابعهم من كندا واستراليا وهؤلاء جميعا رمزهم وعقيدتهم " الصليب" وهذا ما ذكره الحديث ويكون الطرف الآخر والواقف أمام المسلمين وأصحاب العقيدة من الروم دولا لا تمت للعقيدة بأية صلة إذا هم دولا ملحدة مثل

روسيا والصين بالإضافة إلى دول فاقدة البصيرة لا تحب أن تمد وتفتح جسور بينها وبين هذه الدول التي تحمل الصليب وكذلك تمتلئ بالعداوة لأهل السنة والجماعة من المتعاونين مع دول الروم ، وهم الشيعة أصحاب المواقف العدوانية من أكابر الصحابة أمثال أبي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وعدواتهم لدول الروم وعلى رأسها أمريكا عبر السنوات الماضية متمثلا في مشهدين، دعم أمريكا لشاه إيران للتلويح بين فترة وأخرى لدول الجوار بالعصى الغليظة ودفن روح الإسلام بين الشعب الإيراني ، والمشهد الثاني دعم العراق ضد نظام الحكومة الإسلامية في إيران

وتأتي معركة " هرمجدون " فئة إرهاب وأخرى تحاربه ، ثم المشهد العجيب بالحديث " ثم تنزلون بمرج ذي تلول " وهذا المشهد بعد انتهاء المعركة وتنزل القوات المنتصرة من الروم والعرب بمرج ذي تلول ، وهذا المكان موجود فعلاً في لبنان ثم يظهر الخلاف بين الرجل الرومي والرجل المسلم بسبب الصليب فيقتل الرومي وتكون الملاحم أي المعارك

وتأتي خاتمة المشاهد والأحداث حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعا " ويثب الروم على ما بقي في بلادهم من العرب فيقتلونهم حتى لايبقى بأرض الروم عربي ولا عربية إلا قتل "، وهنا لا يفرق الروم بين نصراني ومسلم بل كل من هو عربي أو يحمل الملامح العربية يقتل ويغدر به

وتكون الملحمة الكبرى والأخيرة والحد الفاصل لتسود العالم قوة واحدة تتحكم فيه وتمسك بزمام الأمور

وأخيراً القول الفصل ، فلا شك أن هذه القوة لا يمكن أن تكون اليد الحاكمة القابضة لهذا العالم إلا إذا كانت موصولة بعناية من رب السماوات والأرض ورمز هذه العناية ظهور المهدي المنتظر وقيادته للمواجهة ضد الروم وهذا ما جاء في القول الفصل بالحديث "بين الملحمة وفتح القسطنطينية ست سنوات ويخرج الدجال في السابعة "

أولا الملحمة بقيادة المهدي وتمر السنوات الست وتفتح القسطنطينية ثم في السابعة يظهر المسيح الدجال وبعد المواجهة للقوة المتوحدة مع المهدي وفي أواخر أيام المسيح الدجال ينزل عيسى عليه السلام فيطارد المسيح الدجال فيقتله في باب اللد بفلسطين ويهرب اتباعه ويختبئون وهم سبعون ألف يهوديّ وراء الأحجار والأشجار فيقتلهم المسلمون بقيادة المهدي وتحت إشراف عيسى عليه السلام

نرجو السلامة ولله القول من قبل ومن بعد

" الحكومة الإسلامية "

حياته كلها دعوة وأعماله جميعها جهاد ليس بعربي ولا يتكلم لغة القرآن أبدع في كتابة المقال وخاصة المقال الديني والاجتماعي توحد مع الدعوة المحمدية صبر على دعوته شرف لغة قومه الاردية بعلم القرآن والسنة جاءت ثمرة علمه ودعوته ليصبح زعيم الجماعة الإسلامية بدولة باكستان لم يرحل من الحياة إلا بعد بزوغ روح الدين بين بنى جلدته ابتداء من أصحاب السلطة والحكم وحتى طبقات الشعب بكامله

إنه الإمام العالم الداعية الكاتب الصحفي الشيخ "أبو الأعلى المودودي " وهو رحلتنا في كتابه النفيس ضمن منظومة الحركة الإسلامية " الحكومة الإسلامية "

يبدأ العالم زعيم الجماعة الإسلامية في بداية رحلتنا بكتابه بتمهيد كان لابد من كتابته ليبين مفهوم الدين قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم أنه فرع من فروع الحياة المتعددة وبوضوح أكثر كان الناس يعتبرون الدين ملحقاً ثانوياً لحياة الإنسان الدنيوية كالشهادة أو رخصة في الحياة الآخرة يحصل بها على النجاة والخلاص يوم الحساب

ومن ثم كانت مشاهد الحياة تنظر إلى الدين بهذا التصور وكان الناتج هو غياب المجتمع الإنساني المتحضر ولا وجد تقدم ولا ازدهار يؤدي إلى ترابط المجتمع الإنساني لهذا ظل الدين منفصلاً على الدوام عن المجتمع ولكن حتى في الأوقات التي أثر فيها هذا الدين أدخل فيه الرهبانية والعزلة والانزواء والتعصب وكراهية ملذات الدنيا والانقطاع عن العالم فما كان هذا التأثر سبباً في الرقي ودافعاً إلى التحضر بأي معنى من المعاني

" الإسلام أمن الإنسان وسلامته "

هكذا يبدأ ابتداء بأن بمعنى ضمان الإسلام أمن الإنسان وسلامته في معنى كلا من الآية " لا إكراه في الدين " ، والآية " لكم دينكم ولي دين " فالإسلام لا يكره أحد على قبول عقائده كرها، كما انه لا يفرض عليه عبادته جبراً لأن العبادات لا معنى لها دون إيمان متين بها فالإسلام يعطي كل إنسان الحرية في هذين الأمرين وفي المقابل يرفض وبشدة أن تكون قوانين المجتمع التي يقوم عليها نظام الدولة مستمدة من مصدر آخر سوى شريعة الله أو من صنع أحد غير الله ومع هذا تنفذ في أرض الله ويخضع لسلطانها المسلمون ويتبعونها

ولهذا نجد المجتمع المسلم لا يتدخل في دين الآخر إلا في حالة التعدي من المذهب الآخر وتكون نتيجة هذا التعدي بنشر الآخر لمفاهيم على قطاع

كبير من حياة المسلمين فتأتي مرحلة الإسلام بحث اتباعه أن يتقدموا ويستولوا على مقاليد نظام الحياة بدلا من أن يحدث ذلك من جانب الآخر ومن ثم يقوم المجتمع المسلم بأن يشرع معاملة غير المسلمين في ميدان العقائد والعبادات بما تقتضيه الآية " لا إكراه في الدين "

وليس من شك في أن المجتمع المسلم لا يكره أحد غير مسلم على ترك عقيدته وقبول عقيدة الإسلام أو نجبره على التخلي عن عبادته المذهبية واختيار صلاتنا وصيامنا وعليه فلا نسلم إطلاقاً بحق أحد في أن يفرض علينا بقوة الحكم والسلطة نظرياته في الأخلاق والتعليم والمجتمع والاقتصاد والسياسة وغير ذلك مما يتعلق بالحياة كلها.

إن الإسلام قد ترك للآخرين أن يعيشوا وفق منهجهم ومذهبهم ولكن ليس من التسامح أن يخضع المجتمع المسلم ويتحمل منهج الآخرين المفروض في صورة الإكراه والذي يخالف منهجه وطريقة حياته ونظامه فصورة التسامح تختلف اختلافاً جذرياً فهم إن أشاعوا التسامح في الزنى حلالاً وأباحوه للناس جميعاً فسيسري وينتشر بين الناس جميعاً وإذا أباحوا الربا وتعاملت به حكومتهم فإن أتقى الأتقياء لن يستطيع الإفلات من التدنس به بسبب استحكام الآخر على البلاد وخاصة على المجتمع المسلم وهكذا في التعليم وأخلاقياته الفكرية والنظرية

قبل أن نختم هذا الكتاب النفيس والذي يعد مرجعاً من مراجع الحداثة في التصور الإسلامي لمناحي الحياة والتي تتركز أساساً على إنسانية الإنسان وحقه في الحياة الكريمة أينما كانت عقيدته نسرد ذلك:

يذكر الإمام العلامة الداعية وأمير الجماعة الإسلامية بدولة باكستان أن الخلافة الراشدة ستحتل المركز الأول في هذا الكون لكل من هو غير حاقد ولا متعصب ولكن فكل منصف للمشاهد الحياتية على مر الزمان متخذاً الحيادية في طريقة قياسه لأحوال العالم يجد أن هناك جيلاً فريداً يحمل في وجدانه أهم السبل لنجاح الشعو وهو سبيل الديمقراطية وهذا الجيل الفريد هو جيل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي سيبقى معياراً وميزاناً لنظم التحضر والتقدم بما يحمل من الفكر الإسلامي الشامل لنظم الدين في صفحاته المتعددة من سياسة وأخلاق واجتماع إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولتكملة المشهد بمواقف لهذا الجيل الفريد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتلاء روح الديمقراطية في أهم صفات الإنسان وهي السلوكيات الايجابية المغلقة لأفواه النقد كان من أعظم الميزات في هذه الخلافة حصول الناس على حريتهم الكاملة في النقد والتعبير عن الرأي واتصال الناس بالخلفاء في أي وقت شاؤوا كان أساس الفصل في الأمور هو الدليل والحجة لا الخوف من أحد من نفوذه ولا الحفاظ على مصالح أحد ولا على أساس اختلاف الطبقة والجماعة الالتقاء الدائم في الصلوات الخمس ذلك في اليوم ومرة في صلاة الجمعة وفي الأعياد

وموسم الحج أما سكنهم ومنازلهم ودورهم كانت وسط بيوت عامة الناس وأبوابها مفتوحة أمام من أراد دخولها دون حاجب أو سكرتير وتجولهم الحر في الأسواق دون حرس أو عسكر وكان حضور نفسي في المسائلة كما حدث مع الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه في موقف مهر المرأة وقولته المشهورة أخطأ عمر وأصابت امرأته ويأتي الصديق أبي بكر رضي الله عنه في قوله أيضاً المشهور: إن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني، وهذا عليّ رضي الله عنه عند حادثة الخوارج الذين سبوه بل أقسم أحدهم أمام الناس لأقتلن علياً؛ فقبض على خمسة منهم فأمر بإطلاق سراحهم ولم يتخذ ضدهم إجراء عملياً لأن المعارضة بالقول واللسان ليست جرماً يستحق أن يقبض عليهم

وهنا نوجه سؤالاً بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير واعتلاء التيار الإسلامي منابر الحرية والدفاع عن الشعب سيصمد أمام أنوار الشهرة والسلطة أم سيخر راكعاً لملذاته السلطوية البراقة سؤال نتركه للتاريخ وسطوره.

تم بحمد اللّه

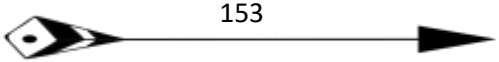

أنعم الكون والرحلات

محمد عـزام

الطبعة الأولى
1442 هـ 2021 م
دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر – بورسعيد

جوال: 00201211132879

E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com